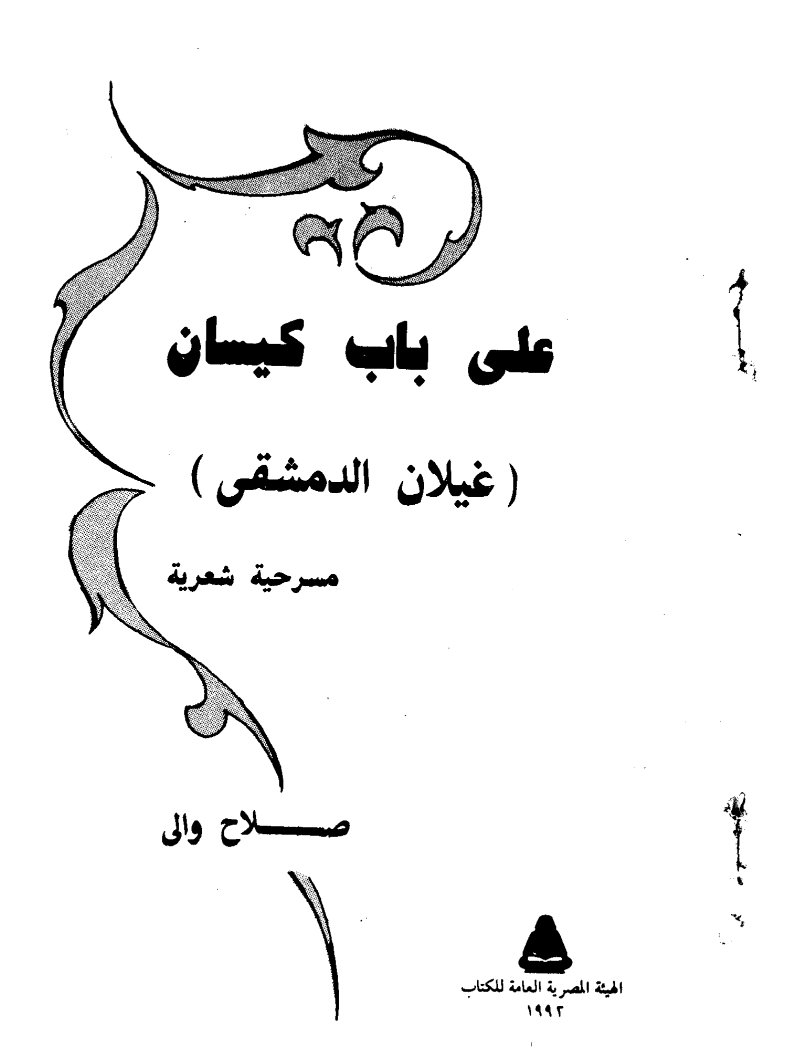


على باب كيسان

(غيلان الدمشقى)

مسرحية شعرية

صــــلاح والى

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٢

الغلاف : سعيد المسيرى

تنفيذ الماكيت : أميمة على أحمد

تعريف

تدور أحداث هذه المسرحية ما بين (عام ٩٧ — ١٠٧ هـ) أى (٧١٥ — ٧٢٥ ميلادية) وهى الفترة قبل تولى عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين فى دولة بنى أمية. وبعد وفاته لحوالى خمسة أعوام.

١ — قبل توليه بعامين.

٢ — فترة توليه (٩٩ — ١٠٢ هـ) أى (٧١٧ — ٧٢٠ م).

غيلان:

١ — غيلان الدمشقى. فى اسم أبيه خلاف فيذكر كالآتى:
غيلان بن مروان، غيلان بن مسلم، غيلان بن يونس وأنا أميل إلى التسمية الأخيرة حيث ينتشر اسم يونس فى مصر أكثر من أى اسم آخر.

٢ — مصرى عاش فى دمشق.

٣ — من أصحاب الحسن البصرى (٢١ — ١١٠ هـ).

٤ — يؤمن أن الإنسان حر مختار فى تصرفاته يرفع راية التغيير ويرى أن الدين والدنيا يندرجان تحت بندين: العدل والتوحيد، والحرية.

٥ — كان خطيباً وواعظاً بليغاً. له رسائل تبلغ ألفى ورقة عدّه الجاحظ (كابن المقفع).

٦ — كتب إلى عمر بن عبد العزيز ينصحه بتغيير الحاشية إن أراد صلاح الأمة.

٧ — استعان به عمر فى تصفية أموال الأمويين ورد الحقوق لأصحابها، ودارت بينهما مناقشة حول الجبر والاختيار.

٨ — تلميذ للشيخ (معبد الجهنى) وللشيخ (محمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب) .

٩ — من خصومه السياسيين والدينين (رجاء بن حيوه) و (الأوزاعى) رئيس المحكمة التى حاكمته .

١٠ — يعتبر بداية المعتزلة وفرقة الغيلانية بل هو التراث الأصل لهما .

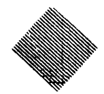
١١ — قال عنه (محمد بن الحنفية) فى موسم الحج :

« انظروا هذا الفتى حجة الله على الأمويين أهل الشام ولكن الفتى مقتول» .

١٢ — تولى هشام الحكم بعد موت عمر ، ففرَّ غيلان خمس سنوات ثم قبض عليه وحوكم محاكمة هزلية .

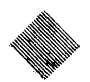
١٣ — صلب على باب كيسان بدمشق .هو وصديقه صالح إلى أن مات صالح وصلى عليه وظل يخطب فى الناس إلى أن قطعوا لسانه بعد أن اجتمعت العامة حوله تفهم منه .

صلاح والى
١٩٨٥



الشخصيات

١ — غيلان
٢ — صالح
٣ — هشام
٤ — مزاحم
٥ — الشيخ على
٦ — الأوزاعى
٧ — فقهاء (٣)
٨ — آمنة
٩ — أشخاص ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ،
١٠ — نساء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤
١١ — شرطة
١٢ — حرس
١٣ — حجاب
١٤ — مجاميع من الرجال والنساء حوالى خمسة من كل منهم .

 الفصل الأول

● المشهد الأول اضطراب

● المشهد الثانى الكلمة

● المشهد الثالث توضيح

● المشهد الرابع محاولة

● المشهد الخامس الفعل

المشهد الأول
اضطراب

(سوق به حركة قليلة ، لا بيع ولا شراء ، الخانات لا تعرض مبيعات / مجموعات قليلة من الناس تتهامس وتتحرك على المسرح .

يدخل من أحد جوانب المسرح شيخ فى هيئة التجار ـ تقابله مجموعة من الناس) .

(١) : أهلاً يا شيخَ التجار .

الشيخ : بُوركتُمْ . . . كَيْفَ الحالُ بسوق دمشق ؟!

(٢) : الحَال هو الحال

إنى منذ صبيحة هذا اليوم معطل
لا بيع
ترك الناس السوق .

الشيخ : والتجار ؟

(١) : (يشير بيده بعيداً) . ذهبوا ناحية الباب .

الشيخ : الباب .. أيَّة باب ؟

(١) : بوابة كيسان .

الشيخ : ولماذا ؟! .. هل نسى الناس السوق .
كيف ؟!
كنَّا حين نجىء إليه نتحسر .

(٣) : تتحسر ؟! .
ولماذا يا شيخَ التجار .

الشيخ : أتحسر أن بعيرى لا يحمل أكثر مما يحمل .
كنَّا أيام (عمر)
نبتاع ونشرى
نأمن كل الطرق ، ولا نخشى البصاصين
أو السراقين .
رحم الله عمر !!

المجموعة : رحم الله عمر
قصيرٌ عُمْرُك يا نورَ الفجر
لأنّا لم نتوحد فى القلب مع الفعل
ليظل النورُ يشع على الأرض
الشيخ : يا سيدُ لا تفزع
يطلع نور الفجر قريباً فوق الأرض .
(١) : كَيْفَ ؟!
وهذى بلد تَقْتُلُ صوتَ الحق
فلابد وأن تنعق فيه الغربان
ويسيطر بُومٌ فوق الأفئدةِ
وتُلْوَى فى الليل قلوب الناس .
(٢) : تتأوه دوماً فى حسرة
أو رجفة
وتخاف بأن تَشْرَع فى وجه الظالم عين
الشيخ : (يمشى مع المجموعة)
عادت أحوال الشام
كما كانت من قبل عمر
(٣) : (بتعجب)
لماذا يصبح عُمْر العدل قصيراً

حتى نعتقد بأنا كنا فى حلم ؟

(تنسحب المجاميع من المسرح وتبقى مجموعة
الشيخ معه ثم تدخل مجموعة أخرى من
الجانب الآخر تنتشر على المسرح) .

(۲) : آه عامان ونصف
انتشر العدل وعَمّ
وأَمِنَ الغنم الذئب
وتجاور فى الغابة صيادٌ ووحوش

الشيخ : مادام هنالك سيف العدل
يحكم مقبضه العقل
فلن يقطع إلا الكذب
ولن يستأصل إلا الشر .

(۳) : هذا زمن ولى منذ زمان
الدنيا لا ينبت فيها إلا أشجار الشر .

(تتواجد مجموعات متزاحمة من البشر ظهرها
فى اتجاه النظارة فيتوقف الشيخ والمجموعة) .

الشيخ : ما هذا الجمع ؟
أرى رجلين على بوابة كيسان

من هذانِ المصلوبانِ ؟!

(أصوات من المجموعة والحشد) .

(٤) : رجل قال الحق وصحبه

(٥) : هو من وُلِّى بيت المال
بعهد عمر .

(١) : كان يقول قُبَيْل الموت
هذى كلماتى أزرعها فى بطن
الأرض
فى رحم الغد

(٣) : هذا من قال محمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب عنه :
« هذا حجة ربى يوم البعث على أهل الشام» (الأمويين)

الشيخ : (متعجباً) :
أكان يقول الكلماتِ الصدق
الحق ؟

(٢) : نعم والحريةَ والعدل .

الشيخ : ولماذا لم تسمع ؟!

(٢) : لم أُسْلِمْ للكلمات البال

كان التعب وخوفُ الموتِ يُحَلِّقُ فى أجواز
الأرض
فَنِمْتُ وأحكمت غطاءَ العين .

الشيخ : (متحسراً) :
آهٍ يا هذا العدلُ الغارب
يا ضوءَ الفجر الهارب من آفاق الشرّْ
كيف يُعذَّبُ رجلٌ قال الحق ؟

(٣) : هذا قدرُ الشهداء .

(٤) : يُوزعُ بالحق
ويعيد الهيبة والإصلاح لبيت المال .

(١) : ولهذا صلبوه .

الشيخ : ولماذا لم يهرب ، حين مضى زمنٌ
وأتى زمن هشام .

(٤) : فرَّ ولكن لحقوا به

(يدخل فى الحديث رجل من الحشد) .

(رجل) : ما تهمتُه ، (وعمر) استأمنه على بيت
المال ؟

(٣) : تهمتُه أن وزَّع أموال الأمويين
وأعطى الفقراء .

الشيخ : يا لله
أهذا مات .

(٢) : صُلِب ، صُلِب
تَعَلَّمْ كيف تقول الكلمات .

(تنقسم الأفراد إلى مجموعتين فى مواجهة بعضهما.)

مجموعة (١) : من أفتى أن يُصْلَب رجل ضوءُ الفجر جبينُه ؟
ويداه الميزان ؟
وصوتٌ ينطقُ بالحقِ ، يُهَدِّم أركان الطغيان
ويعيدَ الراحة للقلب فيأمن
فينتشر العدل بكل مكان .

مجموعة (٢) : من أفتى أن يُصْلبَ رجل
أرضى كل قلوبِ الخَلْقِ ؟
وأسعد أحجار الأرض ؟
فعمَّ الحُبُّ
وماتت فى الأرض البغضاء ؟

(تتداخل المجموعتان وتصبح مجموعة متاثرة على المسرح) .

(١) : لم تَمُتْ البغضاءُ بقلبِ هشام .

الشيخ : ولماذا ؟!

(٣) : مرَّ هشام على بيت المال
وكان الفقراء
وكل الناس **هنالك** واحةَ حبٍ
فى القلب ينادى .

(يظلم المسرح تدريجياً وتظهر دائرة بها
عيلان فى أعلى مستوى) .

غيلان : (أهؤلاء خلفاء رسول الله
هذا يأكل
والناس من الجوع تموت
تعالَوْا يا كل المضطَهدين
ويا كل الفقراء
هذى أمتعة الخونة
هذى أموال الظلمة
تعالَوْا كى يَثْبُتَ فى القلب الإيمان
تلك موائدهم ، وملابسهم
وجواربهم ، ومكاحلهم
هل كانوا أهل هدى
أم كانوا سفاحين وخونة ؟ .

(يعود المسرح إلى ما كان عليه) .

(٤) : هذا رجلٍ قال الحق
وحَقٍّ رسولِ الله .

(٢) : ولهذا قال هشام :
مهلاً يا غيلان
غداً سنرى
وسأقطع منك الساعِدَ والأَقْدَامْ .

الشيخ : (يتذكر) . هو غيلان إذن
هو من كَتَبَ إلى عمر قبيل تولِّيه الأمر
(إن كنت تريد العدل
استبدل هذا الثوب
هذا ثوب لا يجدى فيه الترقيع
اتسع الخَرْق على الراتق
استبدل هذا الثوب) .

(٤) : هذا ـ والله ـ هو الصدق
إن وُلِّيّ أمر الناسِ وَلِيٌّ
ورأى فيمن حولهْ آفة طغيان
أو كذباً أو عثمانين وخونه
أمويين يشبُّون عن الطوق

ويريدون الهلكة للأمة .
لا يجدى تغيير الأفراد .

الشيخ : نعم . . . لابد وأن نستبدل كل الحاشية
ونطهر منهم كل الأرض .
(١) : يعنى استبدال الثوب .
(٢) : هل يجدى أن نزرع قمحاً فى أرض مِلْح ؟
هل تُعطى حتىٰ التبن ؟
(٣) : يعنى استبدال الثوب
بثوبٍ أطهر . . . . . أنقى . أبقى
أَعْدَل . . . وأَجَدْ
يعرف ماذا يعنى العدل .
الشيخ : ويعرف كيف يقيم العدل
لكن . . . . من أفتى بالصلب ؟
(٢) : يا شيخ لاتلقنا فى قاع الجب .
(٤) : أنت تقول ولا تدرك ماذا يعنى الرد .
الشيخ : ماذا يعنى ؟
(٣) : يعنى . . . . . أنك فوق صليب الموت .
الشيخ : (يهتز ، يتلعثم)
ما . . . . . ماذا قلت ؟ . . . . . ؟؟

(١) : للكون هنا آذان وعيون
لا تظهر إلا حين تردُّ جوابَ سؤالٍ حائر

(المجموعة تتفرق وتخرج من أنحاء المسرح)

١ ، ٣ ، ٤: أعتقد بأن الوقت تأخر ، وعلينا أن نرجع قبل غروب الشمس .

٥ ،٢، الشيخ : هذا أفضل من ذاك

(يظلم المسرح) .

المشهد الثانى
الكـــلمة

الزمن : قبل تولى عمر بن عبد العزيز .
المكان : ساحة .
الأشخاص : غيلان ومجموعات من الناس تمثل مختلف الطوائف والأنواع .

غيلان : كلٍ ينظر فى نفسه
عبدُ المال هو

أم عبدُ الله ؟

(٢) : ماذا نفعلُ فى هذى الدنيا والأيام المرتبكةْ ؟

غيلان : كونوا قوامين لها بالقسط
وليعرف كل منكم أن الله غنى عن أفعاله .

(٣) : نعرف هذا .

غيلان : ولتعرف أن الله غنى عن أفعال لا تصدر
من قلب فَتَّقَهُ الإيمان بحب الناس
وأشرق فيه الصدق
فأثقله أن يبصر هذا الظلم
فلم تطرف عيناه بهذا الليل .

(٤) : هذى أسوأ أزمانٍ جاءت .

غيلان : لا تقسوا فى الأحكام بدونٍ دليل
لا تنساقوا للحكام مخافةَ ذلٍّ أو بطش
وليَعْلم كل منكم أن حياة الإنسان قصيرة
والدنيا سوقٌ لا يبقى فيه سوى الصدق
وليزرع كلٌ منكم كلمات الله بقلبه
يغرسها فى أطفاله
فالموت وَزَبَدُ الحق على شفتيك
خير من أن تحيا والباطل والذل يُخَيِّمُ
فوق جناحيك .

(٤) : ومن المسؤول عن الأحوال السيئة
وضيق الرزق .

غيلان : الأمويون الظلمة
لم يُبْقوا شيئاً إلا نفثوا فيه السم
لم يبقوا بيتاً إلا بذروا فيه بذور الفقر .

(١) : خفف من غلوائك
أنت هنا تتحدث عن حكام
لا عن غوغاء ودهماء .

غيلان : الكلُّ أمام الله سواسيةٌ .
إلا من يعمل ليعم العدل
لا فرقَ هنا إلا بالحق .

(٢) : لا يخشى من ينطق بالحق
سوى خالقه
فلماذا نخشى الخلق وننسى الخالِق ؟

(٣) : لا تتطاول فى أمر الحكام .

غيلان : هذا زمن الهرج
وزمنُ الفتنةْ .

(١) : والعلماء ؟

غيلان : آهٍ منهم

إن وُعِظُوا أَنِفُوا
إن وَعَظُوا عَنِفوا
يتكلم كل منهم يتحسس ياقةَ معطفهِ
يرنو للقصر
ويأمُلُ فى ذهب الحكام .

(يقول باستنكار مشيراً إلى صدره) .

(٣) : العالِمُ من يحمل ـ قول الله ـ
هنا فى جوف القلب .

غيلان : لا . . . . . . بل قل
فى جوف البطن
قالوا الكذب ولم ينطق بالحق سوى
الخلصاء .

(٤) : الحكام أتوا بالبيعه .

غيلان : البيعةُ تُوجبُهَا الشورى فى الإسلام .

(٢) : هذا حقٌّ .

غيلان : البيعة تُنْقَضُ إن خالفها الحكام
البيعة للعامل بكتاب الله
ليعُمَّ العدل

البيعة لاتَثْبُتُ إلا بالإجماع .

(٣) : اسمع يا غيلان (متلعثما) .
بايَعْنا . . . . . أو أُخِذت منا البيعةُ قَسراً
ماذا نفعل / الحكامُ هم الحكام ؟!

(٤) : يعنى
أخذوا بيعتنا بدلاً منا .

غيلان : هذا تزويرٌ
أو تحريفٌ
هذا بهتان .

(٢) : ماذا تقصد بالضبط
أفصح عن مقصدك وقُلْ .

غيلان : أقصد
ألّا نزرعَ قمحاً
فلا ينبتَ إلا حنظل
أقصد ألا يستعبدُ رعبٌ من سجنٍ قلبَك
لاتتحَسَّس رقبَتك إذا قُلْتَ الحق
ألّا يحكمُنا قانونُ الفقر .

(١) : وتمتلأ خزائنهم ذهباً ودنانير .

غيلان : أقصد أنّا حين نرى الشمس

لا نحلم برغيف العيش .

(٤) : نخشى يا غيلان

الأطفالُ ، الزوجةُ ، والشرطة

هذا قَدَرُ الضعفاء الفقراء .

غيلان : حين ترى الحق

وتعرفه ، تحمله فى قلبك فعلاً

لن تصبح كلماتك مرهونةْ

بنداء الأمعاء

وصراخ الأطفالِ

وثوب يستر جسد الزوجة

وبيت تمتلكُ الشرطةُ كل مفاتيحه .

(١) : (أَوْغَلْتَ) كثيراً يا غيلانْ

وتَفَتَّحَ منى القلبُ

ولكن زدنى إيضاحاً

لا تصف الناس وسوء الأحوال

مثلاً قال الله أطيعوا الحكام .

غيلان : لم يقل الله بهذا
فاسمع
قال أطيعوا الله
أطيعوا رُسُلَ الله
وأولى الأمر
أى من ولىّ أمركمو
إن كان على نهج كتاب الله
(متسائلاً منفعلا)
هل يعمل أحد منهم بكتاب الله ؟
هل قال الله لهم .
اتخذوا متكأً من ذهبٍ ؟

(٤) : فسيأتى عَرَقُ الفقراء جِمالاً من نار
تلتهم الحكام
وتلتهم التجار بدين الله .

(٢) : (يبدو مضطرباً) . ماذا تفعل إن كانوا
ــ ما قلت ــ ؟!

غيلان : لا تخشَ أن تنطقها
قُلْهَا

إن كانوا ظَلمه

(بتدبير واحكام وثبات) . .

لابد وأن نلقى السيف ببطن الظُلمة

فيتفتق نور الفجر .

(٤) : يعنى نقتلهم مثلاً

(٢) : (بانفعال) هذا هرج لا يدخل من باب

العقلُ اسمع يا غيلان

طبعاً يسدى العلماء الخلصاء النصح إلى

الحكام

فينصلح الحال .

غيلان : إن الظن الحسن بدون العقل

يؤدى للموت

(٤) : كيف ؟

غيلان : يجذبك إلى الشر

فتنزلق القدمانِ قليلاً

تغرق فى جسر الظلم .

(٣) : هذا عين الحق

والساكت عن ظلمٍ شيطانٌ أخرس .

(٢) : والناطق يا صحبى
ينتظر الجلاد قدومه
والزنزانات
السوط
السيف
أى الموت هنالك فى شرف استقباله .

(١) : هل يعنى أن نعتصم بحبل الصمت .
(واحد يخرج من المسرح بحذر) .

(٢) : هذا قول سيؤدى للموت
سَيَعْلم كل الحكام بمن يتحلّق
أو يسمع غيلان .

غيلان : ماذا يرعبهم فى هذا ؟

(١) : (ينصح غيلان بهمس) .
اعلم أن الشرطة ككلابِ الصيد
تتصيد أعراض الناس
وتشم الأنفاس .

(٣) : وتفتش بين تلافيف العقل
عن الأفعال .

(٢) : (فى حذر تام) . وتنام هنالك ما بين المرء
وزوجه .

(٤) : (فى حالة يأس) . تعاين فى رحم الأم
نوع المولود
وتأخذ منه البيعةَ
وتختم إلْيتَه بالختم .

(٢) : (بصوت عال) .
هذا عملُ الشرطة ليعمَّ العدل .

غيلان : إن قام العدلُ
فسيحرسِ كلُّ الناس
كلُّ الناس
وما لزمت شرطة
كانت تعمل فى البحر
تفلح فى الأرض .

(١) : ومن يحرس أموال الحكام
وعروش الدولة ؟

غيلان : عمر بن الخطاب ينام بصحراء الأرض
العربية
يحرسه العدل .

(١) : هذا زمن ولى منذ زمان . . . . .

غيلان : فَلْنُعِدَ الزمن

ونحكم بالعقل وبالعدل .

(تندفع مجموعة من الشرطة من كل اتجاه تتفرق الجماعة ويظلم المسرح) .

أصوات متفرقة: . الشرطة يا قوم

الشرطة يا قوم

المشهد الثالث
توضيح

غيلان مع صديقه صالح معهم بعض خاصتهم يتحاورون ، ويوضح غيلان رأيه بأن الإنسان مخير ، وأساس الحكم والدين التوحيد والحرية والعدل .

(بيت يفهم هذا من الديكور . وإن كان ما يظهر حجرة بها المجتمعون) .

صالح : ماذا تعنى بالحرية فى الفعل ؟

غيلان : يا صالحُ ــ أصلحَك الله ــ وأصلح منك الفعل

أعنى أن الإنسان بكل إرادته حرّ
يفعل أو لا يفعل
لم يُكْتَب فى الأزل كتاب يُجْبِرُكَ على الفعل .

صالح : هل تعنى أن الإنسان مخيَّر .

غيلان : أعنى هذا بالضبط .

(٣) : لكن الأفعالَ مقدرةٌ فى علم الله .

غيلان : الله يقدر رزقَك
لكن افعل لتنال الرزق
يخلق كلاًّ مِنّا حُراً
لكن حافظ كى تبقى حراً .

(٤) : أوضِح يا غيلان
زدنى إيضاحاً .

غيلان : إن زاد الإيضاح تشعّب فى القلب الأمر
وتفتّق فوق لسانى السِّر
جواهر ومعان تغترب على أفهام البسطاء
لكنى قلت
إن أَمَرَ الله العبد بمعصية

وأطاعَ العبد الأمر
فعصى
أيعذبُ هذا العبد ؟ !!
أيعذبُ فى العصيان ؟
أيعذبُ فى الطاعة ؟
ولهذا لم يأمر ربى بالظلم .

صالح : هذا موقفك تماماً
كمعبد الجَهْنِىّ .

غيلان : هو شيخى
وأنا فى الدرب أسير
رحم الله الجَهْنِىّ ، أوضَحَ ما يستغلقُ
فوق الفهم .

(٤) : لكن ما قولك فى المرجئةِ .

صالح : قالوا أن تؤمنَ بالله بقلبك
وتفعلَ كلَّ كبائر أهل الفسق
ويُنْظَرُ فى أمرك يوم الحشر .

غيلان : هذا قول لا يتفق مع العقل

هل أحكام الدينْ
جاءت لتعطّل أم لتقام ؟
أم لتؤجل ؟

(٣) : يعنى لو أرجأنا المسألة ليوم الحشر
يفسد أَمْرُ الأمة .

غيلان : العقل أساس التفكير وسلطان الحكم
افهم منى
إن لم تكن الأفعالُ محرمةً
كالرشوة
والظلم
وأكلِ حقوق الناس
ونشرِ الرعب
ماذا يمكن أن يحدث أكثر من هذا ؟

(٢) : تصبح دنيانا غابة
تحكمها القوة

(٤) : والهلكةُ للأضعف
حتى لو كان قوياً ونقياً كعيون الفجر

غيلان : إن تتفكر بضع ثوانِ فيها حُرِّم

لعرفت بأن العقلَ أساسُ التحريم
وما حُرِّم لا يتفق مع العقل
هل ترضى بالظلم ؟

(٣) : لا
غيلان : ولهذا حُرِّم .
(١) : ولماذا لم يفعل أهل (يزيدٍ) هذا ؟
غيلان : فعلوا الظلم
(١) : وما يمنعهم من فعل الخير؟
غيلان : تُدرك يا صحبى أن الخير
حين يَعُمُّ ويكتسح الشر
يعتصم بحبل الخير الخلق
لكن من يحزنه الأمر
من أجل الهيبة والسلطان
تبقى فى القلب فراخ الشر
تعشش وتبيض
وتفقس حياتٍ وثعابين
تنتظر الفرصةَ كىْ تنقض
إذا انقطع السيل

وتوقفتِ الأمطار
خرجت تسعى فى البستان
تستخفى / تعمل فى جذر الأشجار
تتكاثر كَذُباب الحمى
كالدود بجثة ليث
تنتشر وتُفزع أهل البستان
فيُوَلُّون الأدبار
فهل لو قالوا
ترك البستانَ لنا أهلُ البستان
بمحضِ إرادتهم

(١) : كذابون إذا قالوا

غيلان : ولو حكموا فى الأرض .

(٤) : حكموا بالشر وزرعوا الظلم
بكل مكان .

غيلان : وكيف ترى الظلم ؟

(٣) : تُتْخَمُ أمعاء التجار
ويحمل كلٌ منهم قِرْبَتَهُ
تحت عباءته

يملؤها عرقَ الناس . . دماءَ الأطفال .

(٢) : « يُقَوْنَنُ » كلُّ الظلمِ وينتشرُ الفقر
وتعمُّ الأمراض .

: (تُهْتَكُ) كلُّ الأعراض .

صالح : وتُذلُّ العلماءُ الأخيار
وتُرفعُ كلُّ العلماءِ الأوغاد الدينار .

(٣) : نتحدث بالهمس حين نقول الحق
نسقط فى آبار الفكرِ ودواماتِ الحزن .

(٤) : أو نُلقىَ فى قاعِ الجُبْ
نستقبلُ كل التهمِ المبثوثةِ فى قانونِ الموت .

(باستهزاء) .

(٣) : المتهمون بإقلاق السلطات
وتعكير الصفو العام
الـدجالـونَ . . . الكفرة . . و . . . . . .
والمرتزقة .

غيلان : ويُبرِّرُ كل العلماء الدينار
أفعال الحكام الأشرار
فترجأ كل الأفعال ليوم الحشر

إلا أفعال العامة فى هذى الأحوال .

(٢) : فيهرب أهل البستان من الرعب .

صالح : يحكم أهل معاوية بالسيف وبالفتوى .

غيلان : والسيف قرينُ الظلم
إن لم يحكمه العقل .

٣ ، ١ : ولهذا وجب القول الفعل .

٤ ، ٢ : القول الفعل .

ــ اظلام ــ

المشهد الرابع
محاولـــة

(فى صدر المسرح وفى المستوى الأعلى باب عليه حارس (مُزاحم) فى الجانبين مجموعة من المقاعد العربية فى بهو عليها بعض الناس ، حارس على اليمين وحارس على اليسار ، تدخل مجموعة من الفقهاء والعامة وأهل الفكر إلى المسرح ويجلسون بلا ترتيب) .

(١) : سلام الله عليكم
كيفَ الحالُ مُزاحم ؟

مزاحم : بخير إن شاء الله .

المجموعة : وعليكم السلام .

(٢) : أين أمير المؤمنين .

مزاحم : بالداخل يستعرض أحوال الناس
رسائلهم
ويردُّ عليها .

(٣) : يهيىءُ ربُّ الناسِ الخيرَ .

(٤) : ويهدى مولانا للحق
ويُنيرُ به طُرقَ العدل .

(١) : كنتُ (يميل إلى أحد الجالسين ويهمس) .
كنت أريد بأن نتباحث فى الأمر
ونقول لمولانا
إن مصادرة الأرض الموهوبة
من إقطاعِ (فَدَك) من حقك
وأنت ورثت الأرض .

(٢) : سُئل فقال
أعطانى من لا يملك

هل آخذُ حقَ الناس بغيرِ الحق .

(٤) : وَرَدَّ جميعَ الأرضِ لبيتِ المال .

(٥) : حتى ذهبُ الزوجةِ وملابسِها .

(يدخل رجل يكلم الحارس ومعه رسالة) .

الحارس : [يا مُزاحم
رسالة إلى أمير المؤمنين
من عمته (فاطمة بنت مرْوان)] .

(٤) : (يميل على جاره) . ستبدأُ فاطمةُ التأثير
وستستعطفهُ .

(٢) : هو لن يرضى .

(١) : هى عمتهُ ،
شقيقةُ والدهِ .

(٣) : حتى لو كانت أمهُ .

(٤) : دعنا نسمع ها قد خرج مزاحم .

(يخرج مزاحم ومعه الرسالة والرد) .

مزاحم : [أمر أميرُ المؤمنين

أن نقرأ الرسالةَ والردَّ
الرسالةُ : من فاطمةٍ بنتِ مَرْوان
إلى أمير المؤمنينَ عُمر] .
إنَّا نخشَى عاقبةَ الأحوالِ عليك
لا تفعل ما تفعله بالأمويين
هم أهلُكَ وعشيرتُك وسَنَدُكْ
اُترك أموالَ الأمويين
الأرض
أَبْغَضْتَ قلوبَ عشيرتَكَ عليك
لكنَّا نُحْبِبْكَ فلا تَكْسِرْ أضلاع الصدر
الرد :
يا أخت أبى :
ما تطلعُ شمسٌ إلا خِفْتُ من الهول
ومن فزعِ القبر
من موقف يوم الحشر
ما نامتْ عينى لو فى الأرضِ الواسعةِ
يعيشُ الظلم
هل كانت تلكَ الأرضُ

وراثةَ آبائى
ممتلكاتِ بقيةِ أخوالى
هل هذا الذهبُ اللامعُ
والثوبُ الراقصُ من حقى
ياأخت أبى
إن المال وهذى الأرض
وتلك الأثواب تَضُجُّ برائحة الفقراء
آخُذُها لأطَهْرَكُمْ
ليزداد الحبُّ لدينا ولديكم ولدى الناس
لم يعرقْ عُمرُ بهذى الأرض
لم يغرسْ بستاناً
لم يفلحْ أرضاً
فلماذا أخذَ الأرضَ وَغلتَّها
المالَ المغموسَ بعرقِ الناس
من صنعِ أياديهم
هو للناس
فإذا نُجيّتُ برد الأرض
المال

فمَن أخشى في دنياكم تلك
يُرَدُّ المالُ الأرضُ لبيتِ المال
لأصحابه
لفقراء الأمة
يا أخت أبي
لابد أن يعتدلَ الميزان .

(يعطى مزاحم الرسالة للحارس ويخرج الرسول بالرسالة) .

(١) : هذا قولٌ أقفلَ بابَ مقولتنا .

(٢) : يعني لن يسمع أي رجاء في الحق .

(٤) : أعرف أن الأمويين هنالك
ينتظرون بقية هذي الأحداث
(في تلعثم) .
أخشى إنْ أوغرَ قلبهمو ..... أنْ .

(٣) : أنْ .... ماذا تقصد أنْ ؟

(٤) : لا شيء .

(٣) : (يحاصره بالسؤال) .لا .. تقصدُ شيئاً
تقصد أنك تخشى سوءَ العاقبة

كما تخشى عمته سوءَ الأحوال .

(٤) : إن كنت تريدُ الصدقَ . . نعم .

(يتحدث إلى نفسه بصوت مسموع)

(٣) : فلماذا لا يُتْرَكُ للعدل طريقٌ ليسير ؟
لماذا تُعْصَبُ عينُ الحق بمنديلِ الباطل ؟
ولماذا نتهيَّبُ كل الظَّلمة ؟
ولماذا نخشى منهم ، حتى لو أمكننا التَغْيِيرْ ؟

(٢) : يكفى جوعُ الجوعى فى الطرقات
والذهبُ المنثورُ **هنالك** فى القاعات .

(٣) : (يتكلم كالحلم) . حين رأيتُ الظلم يَدُبُّ
ويمشى فى الحارات
مكشوفَ الوجهِ ومرتفعَ القامة
يختمُ ظهر الرجل بخاتمِ ذُلٍّ وعذاب
ينتزع الأمعاءَ ويهدى الأطفال لملكِ الموت
فُزِّعْتُ
قلت له . ما كنتُ رأيتُك مكشوفَ الوجه
تسير بدون حياءٍ فى الأحياء

قال . أينَ همُ الأحياء ؟

(٢) : حقاً قد غابَ العدلُ وعَمَّ الصمت
وخِفْنَا أن يحتكَّ الثوبُ بطرفِ الثوب
لم يتكلم ــ أحدٌ منَّا .

(٣) : ولهذا حَكَمَ الظُّلم ولايتَنا
قال : صرتُ أنا ربَّ الأربابِ ببلدتكم
فلماذا أتخفى
وأنا أنتشرُ كظلمةِ ليلٍ أبدى
لا ينتظرُ طلوعَ الفجر .

(١) : يا سيد لا تهرف

(يقول الكلمات وكأنه يحس بأن الرجل مجنون) .

أو تخرف
هل عاينتَ الظلمُ يعربدُ فى الطرقات
وتكلّمَ معك وقلت وقال .

(٣) : نعمْ ....
اسمعْ وأجب
هل تعبَ الأمراء

وشقّ العرقُ الناريُ عروقَ الوجه
واسَّاقَط حَبّاً فوق الأرض
ليروى نبتتها ؟

(٥) : لا .... لا .... لا

(٣) : هل شقوا الأرض وزرعوا فيها أشجاراً ؟

(يتوجه بالسؤال إلى الجهة الأخرى) .

(٦) : لا .... لا ..... لا .

(٣) : فلماذا تصبحُ مِلْكاً لذويهم ؟
ويصير الزارع مأجوراً
أو زنديقاً إن حاول أن يتكلم
أو يتألم .

(٢) : هذا قول حق . لكن الأمراءَ
هم الأمراء .

(٤) : ماذا يعنى الأمراء
كلُّ الناسِ سواسِيةٌ .

(٢) : قول والله يرفع أغْطية القلب
ويلقينا فى الشك .

(١) : أَيُّ شكٍ وهُمُ الأمراء

إن فعلوا شيئاً كانَ هو الحق .

(٣) : حتى لو كان القتل ؟

(بتذمر ويهم للقيام) .

(١) : هذا يومٌ كَدِرُ منذ الفجر
الجوعُ ، الظلمُ ، القتل .

(٤) : يكلم (٣) هذا يوم لن يَغشانا فيه النوم
فَتَّحْتَ القلبَ بطاقاتِ الأسئلةِ النارية
فتأمّل
عمرَ بنَ الخطابِ العادل
هذا مولانا عمرُ العادلُ أيضاً
وكأنَّ الزمنَ يعيدُ الدورة
باسم الله ، تبَارك وجهُ الله
وعَمَّ العدلُ على الأكوان

(٥) : قلِ قوَّانا الله لكى نحمى ونقيم العدل
ونُعَمِّقَ معنى الحب .

(٢) : ونزرعَ كلَّ قلوبِ الناسِ أمانْ
ونَصْدُقَ فى الأقوالِ وفى الأفعال .

(١) : يهدينا الله لذلك .

(٤) : قل إن شاء الله ونفعل ذلك .

(١) : إن كان الله يريدُ هِدَايتنا فَسَنَهْتَدْ .

(٣) : (يرفع اصبعه محذراً) . لا تكمل . . . .
إن الله تعالى قال (وهديناه النجدين)
وترك لنا حريةً أن نختار
لن يصنعَ قدر الإنسان سوى الإنسان
لن تحصدَ إلا ما تزرعُه يداك
لن تزرعَ إلا ما كان عليه القلب .

(٥) : (فى محاولة للتهدئة) . يقصد سيدنا
أن يهدينا الله لفعلٍ وحمايةِ هذا العدل .

(١) : (محتداً) . لا . . . . أقصد إن كان الله يريد
هدايتنا فَسَنَهْتَدْ
وأعرف أن الشيخ يقول بأمرٍ خوارجنا .

(يدخل رجل برسالة يسلمها للحارس) .

الحارس : يا مزاحم رسالة إلى أمير المؤمنين .

(ويقف بجواره ....) .

مزاحم : فلينتظر الرجل قليلاً .

(يدخل مزاحم) .

(٤) : يَهْدِيْنَا الله ونساعد عمر على اسْتِتْبَابِ الأمن .

(١) : (متذمراً) .
ولماذا أرسل عمرٌ فى طلب القوم ؟؟

(٤) : مزاحم طالت غيبة .

(٣) : لابد أن نتشاور فى الأمر .

(١) : مع مَنْ ..... من نتشاور معه
ولماذا نحن هنا ؟

(يخرج مزاحم بالرسالة والرد) .

مزاحم : [أمر أمير المؤمنين بقراءة الرسالة والرد
الرسالة :

(من غيلان الدمشقى)

إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز)]
أعلم أنك تملك فيمن حولك
ثوباً متعفِّن

قد مزَّقة الهمُّ وظُلمُ الحكام
حتى اتسع الخَرْق على الرَّاتِق
لا يجدى فيه الترقيع
إن كنتَ تريدُ العدل
استبدل هذا الثوب
واعلم أن هناك إمامين
إمامٌ يهدى للحق
وإمامٌ يهدى للنار
فأيهما أنت ؟)

الرد : قال أمير المؤمنين
(أَعِنِّى يا غيلان على ما أنا فيه
وتعال إلىَّ أُحاورك
وأسمع منك
وتسمع منى
حتى يتجلى كلُّ المعنى والفعل .

(يخرج الرسول بالرسالة) .
(وهو لا يصدق ما سمع) .

(١) : أيطلب مولانا من هذا الخارج
أن يحضرْ .

(٣) : (مؤكداً) .
لا بل يطلب أن يُشْرِكه فى الأمر .

(٤) : مولانا يعرف أكثر مما نعرف .

(٢) : مولانا يطلب كل الناس
ومن أصحاب الآراء
أن يتكلم كل منهم حتى يَتَضِحَ طريقُ العدل
أن يفصحَ كل لبيب عما يقصد ..

(٥) : أىْ أن تؤخذ شورى كل الناس .

(١) : ولماذا تشتركُ العامة فى هذا الأمر ؟

(٣) : أرسل مولانا فى طلب العامة والخاصة
الشرفاء والدهماء
هم أهل البلد جميعاً
زُرّاع الأرض
الملاحين ، الصيادين
الأُجراء ، العمال
الحفظة والأمراء

حكام أقاليم البلدان
العلماء ، أهل البلدان
الباعة ، والسوقة ، و . . . . .

(١) : (يقاطعه محتداً) .
وكيف سأجلس بجوار الغوغاء ؟
هل يفهم أحد منهم شيئاً ؟
ماذا تعرف هذى الدهماء من أمر الحكم ؟
حتى غيلان
(يستطرد بتهكم) .
أصبح يفهم فى أمر الحكم .

(٢) : ألسنا بشراً
كل الناس بشر
وللدهماء مشاكلهم
وأمانيهم
ومطالبهم

(١) : (مفزوعاً) . ماذا ؟
أللدهماء مطالب ؟

هذى حيوانات الأرض

أيقام العدل بكلمات الدهماء ؟!

(٤) : (بتعقل شديد) .

يقام العدلُ باصلاح الأنفس والأفعال

ولكل الناس مطالبهم

والدهماء .. جزء لا يتجزأ من هذى الأمة .

(٣) : بل هم أكبر وأهم الأجزاء .

(١) : كيف تقارن بين القدم وبين الرأس ؟

(٣) : كيف تسير الرأس بلا أقدام

وأعلم أنهمُ الأقدام وأنهمُ الرأس

أمّا من يفهم أو يتوهم

أن نيافته من عظماء القوم

فعظماء القوم هم الأحشاء

(محاولاً استفزازه) .

أو إن شئت الدِقّةَ

هم ما يخرج من هذى الأحشاء .

(١) : (مندفعاً ... متلعثما)

هذا شيء ....

لا يمكن أن
أقصد أن لا يمكن
يبدو أن الأمر اختلط
وشَطَّتْ كل الأحكام .

(ويخرج) .

(٢) : وإمامٌ يهدى بالحق
فلا يصلح إن كان وحيداً
يضرب فى تيه الأفكار
كغريب ضاع ببيداءٍ فى الليل
لا يصلحُ إلا بالإجماع وبالترشيد
وأخذ الرأى .

(٤) : غداً تُطْلَقُ يا نور الشمس
فلتشرق كل معانى الخير
بصدر الإنسان .

٣ ، ٤ : إن يشرق صدر الإنسان بكل الخير

أصوات : وتَمْتَدُّ الأيدى تتلاقى
لتقيم العدل

فلن يغرقنا الطوفان
ولن تسكن فى الأرض الغربان .

(ظلام) .

المشهد الخامس
الفعـــــل

١ — غيلان وصالح فى طريقهما إلى بيت المال . حتى منتصف المسرح .
٢ — على المستوى الأعلى بيت المال وعليه جمع من الناس (بوابة قصر)
تَفصل الإضاءة بين ١ ، ٢ حتى ينتهى حوارهما والوصول إلى بيت المال .

صالح : سيكون اليوم طويلاً .
غيلان : نَرُدُّ إلى الناس حوائجهم .
صالح : هذاثالث يوم
ومازال الجمع على بوابة بيت المال كثيراً .
غيلان : كم قلب أوغر منهم .
صالح : كل قلوب الناس سواهم .

غيلان : آهٍ لو تعرف معنى
أن يرجع ما سُلِبَ لإنسان
أن يرتاح العدلُ على صدر الناس
ويرمح فى البلد كمهرٍ جامحْ
يكتسحُ الظُّلْمَ
ويلمس وجهَ الشمس بكل قوادمه .

صالح : أدرك ماذا يعنى
أن تَمسح دمعة طفل
أن يُسْتَر بدنُ الزوجة
أن يَرفع رجلٌ هامته
لا يخشى السيف
أن تَكبح شهوة شاب
يجد المسكن والزوجة
(مستدركاً) .
لكنك توغر صدر الأمويين
وهشامٌ يتوعدك
ويقسم أن يقطع منك الساعد والأقدام
أن يصلبك .

غيلان : إنّا لا نعبدُ مِن دونِ الله هشام
افعل ما يأمر عقلُك به
ولا يهتزُّ جنانُك خوفاً منه
كن كالثوب الأبيض
أنقى من كل الألوان
طَهِّرْ نفسك بالحق وقُلْهُ .

صالح : قد آن لشمسِ العدلِ بأن تشرق
تتربع فى ملكوت الأرض .

غيلان : هذا زمن المظلومين
المسفوكين الدم
المسروقين العرق المُجْهَدَ فى عين الشمس
المنكفئين على وجه الأرض
يدعون الله بحسرة ظُلْم
يتشقق وجه الأرض من الرعب
تَهْتَزُّ هنالك أركانُ العرش
ويزأر فى أركانِ الأرض
دعاءٌ للناس
فيكون الفعلُ وينفجر البركان .

صالح : لكن عُمرُ من آل أمية .

غيلان : يا صَحْبى

لا تُمعن فى الإسراف

فأصابعُك بكفٍّ واحدة مختلفة

كُلٌّ يختار طريقه

والنَبْتَةُ تُسقى من ماءٍ واحد

فى أرضٍ واحدةٍ

يختلف الطعمُ

وتختلف الألوان

فسبحان الله .

صالح : ها هو بيت المال يُطِلُّ علينا

والخلق على الأبواب .

(يظهر ببيت المال ويزال الحاجز بين المشهدين ويرى جمع من الناس حول البيت) .

غيلان : هيا ندركهم

طالت وقفتهم .

(يتخذ صالح وغيلان مكانهما ومن حولهما الناس) .

امرأة (١) : ثوبي أحمر اقصد أبيض
خُطِّط بخطوط حمراء ،
والنحر دوائرُ للبدرِ المكتملِ الحسن
شُقَّ قليلاً من فوقِ الصدر
أحضرَه زوجي من مصر
أخذته الشرطةُ مع بعض أوانى الطهى
استكمالاً لديون الزوج .

صالح : ديون الزوج !؟

امرأة (١) : نعم قالوا . . . . . . إن الاشجار أصيبت فى
موجات الحر
فتساقط منها الزهر
خسر القصرُ المحصول
فليدفعَ ساقى الأشجارِ الدَّيْن .

صالح : (يبحث عن الثوب) .
ثوب أحمر ــ ابيض
هاك الثوب .

المرأة (١) : (بفرحة تتشممه) .
هو ثوبى . . . . رائحتى فيه

ورائحةُ الزوج

ردَّ الله لك العافية وردّ . . . . . .

غيلان : هلّ من أحد آخر .

رجل (١) : بيتى فى شرقِ (فَدَكْ)

حُجَّتُهُ والأوراق انْتُزِعَتْ منى

وانتزعته الشرطة

أخذته عساكر من كانوا . . . . .

حتى يُصْبحَ اسطبلاً للخيل .

غيلان : اسطبلاً للخيل ولماذا ؟!

إسطبلاً للخيل لماذا ، كيف ؟

الرجل (١): يقع البيتُ على آخرِ حدٍّ الأرض لهم

حيث تُربى الخيل .

صالح : أُذكر كلَّ علاماتِ البيت .

الرجل (١): بيت من دور واحد ،

حجرات ، بهو ،

بيت للراحة ، حمام ، ومكان للطهى

ومخزنُ للمحصول .

غيلان : أىّ الحِرَفِ لديك ؟

الرجل (١): تاجر فاكهة وغلال .

صالح : (يبحث فى الأوراق التى أمامه) .

بيت فى شرق (فدك)

إسطبل خيول ....

رجل (٢) : أما بيتى يا غيلان .

غيلان : تمهل حتى نقضى حاجة صاحبك الآن .

صالح : هذى أوراق البيت .

غيلان : يا حارسُ معْه سلمه البيت .

(يخرج الرجل ١ والحارس) .

رجل (٢) : أما بيتى يا غيلان

فلن تجدوا أوراقاً أو بيتاً .

صالح : ولماذا ؟

رجل (٢) : بيتى من أقدم ما شيَّده الأجدادُ

جنـوبى حلب .. فـوق الأرض

الخضراء

كان كنوّارةِ هذى الأرض

لكن سُوِّى بالأرض (يبكى ويجلس أرضاً)

ليمر طريقُ الصيد ، وليتسعَ لعرباتِ الجر

نهبتهُ الشرطةُ والخيل
وأكَمْلَ تسوية الجدران مع الأرض
أولْادُ الشر المحض .

غيلان : أين أقمتم ؟

رجل (٢) : لسماء الله تغطينا من أوجاع القلب
كيف أُفسِّر أكثر من هذا
وأنا مسلوب الحجة والأوراق

غيلان : من يشهد أن الأمر كما قلت .

(يتقدم رجل وأمرأة) .

الرجل : أنا صاحب تلك الأرض
حيث يمر طريقُ الصيد رغماً عنا
والبيتُ له
كان قديماً حيث يقول
جَدّانا من سنواتِ العمر الأولى جيران
جَارَ الزمن على الجدِّ فباع الأرض
ولم يبع البيت
وآل البيت إلى الأحفاد

هو ذاك الرجل الآن

(يشير إلى رجل (٢)) .

وشَهِدْتُ بعينى هدمَ البيت
أتمنى لو أنى متُّ

(كالحالم) .

فأنا لا أبغى أن أشهد ما شاهدت .

المرأة : كنت أمرُّ صبيحة كل ثلاثاء من عند البيت
وأنا أتجه إلى السوق

أتأمل منظرهُ الأبيض وسط الأرض الخضراء
كما قُطٌّ بالغابة

وحينَ العودة فى الهاجرة فراراً من وَقْدِ
الصحراء
كنّا نأوى للبيت
كانت رَبَّتُهُ (تبكى) .

تُؤوينا ، تطعمنا ، تسقينا
رحم الله الزوجة ، فأنا أَسْبَلْتُ عليها الثوب

يـوم الهـدم ، إذْ مـاتت تحت
الأنقاض .

(يستمر بكاؤهما ويقوم غيلان يحتضن
صاحب البيت)

غيلان : اجلس بجوارى
يا صالح ... كم يتكلف هذا البيت ؟

صالح : كما يتكلف قصر .
كان قديماً من أكبر تجار حلب .

غيلان : من بيت المال يبنى للرجل البيت
(يلتفت إلى الرجل) وما حال الأولاد ؟

الرجل (٢): الكبرى ...... زوجناها فى بغداد
لم أرها من أعوام
والصغرى فى مصر
(يتألم) .
أمّا الوسطى .... عمياء من جراء الهدم
والولد الأوحد يعمل فى أرض الجيران .

غيلان : يا صالح ألفى دينار للرجل ليبدأ مشوار
تجارته

الرجل (٢): (يبكى)

مازال العدل يُعَمِّرُ بعض قلوب الخلق

الرحمة أوسع من أبواب الشر

هذا زمن يهبط كالغيث ليحيى الأرض .

(تدخل امرأة تمشى بدلال) .

امرأة (٢) : وأنا . . . . . أنا . . . . .

أنا . . . . . . أنا يا غيلان .

غيلان : يا فتاح . . . . ماذا .

صالح : من تلك المرأة ؟

المرأة (٢) : زوجى

كان هنالك فى القصر

يعمل سيافاً

قبل العمل هناك

كان قوياً وفتياً وعفياً

بعد العمل هناك

كان يعود إلى البيت

منزوياً مشغول البال

يغطس فى آبار النوم

يهبُّ كثيراً مفزوعاً يرتعد من الخوف .

رجل (٣) : يا صالح :
هذى امرأة السياف
ستحكى حتى تصل إلى فرش الزوجية
دعها واسمع شكوانا .

غيلان : صمتاً .... قولى يا امرأة السياف .

المرأة (٢) : ثم تفاقم هذا الأمر
حتى صرنا كالأختين
ثم .... ذهب الرجل
ولم يعد .... إلى الآن .

غيلان : هل قُلْتِ لمن فى القصر
أين الزوج ؟

المرأة (٢) : (باستنكار شديد)
أنا .... أنا أذهب للنار ولا أذهب للقصر
يكفى آمنة المجنونة
ضاجعها فى القصر الكلب .

غيلان : كفى ... كيف أرد الرجل الغائب من
سنوات .

المرأة (٢) : أنا لا أبغى هذا بالضبط
حتى لو عاد فلن يصلح لى زوجاً
(تظهر حاجتها لرجل) .
أبغى رجلاً يا غيلان .

غيلان : ضللتِ طريقك يا امرأة السياف
هذا بيت المال
ولست المأذونَ أو المسؤولَ عن الأزواج
الغائبة بأقبية القصر / يا حارس
يا حارس
خذها لأمير المؤمنين
هل من أحد آخر .

المرأة (٣) : زوجى وأثاثُ البيت .

غيلان : (لصالح) تَوَّلَ هذا الأمر .

المرأة (٣) : حاشيتان ، إبريق نحاس ، طستُ
ثلاثُ أوانٍ للطهى ، فراش صوفى ،
صندوق للزينة .

صالح : لكن هذى الأشياء
تحتاج إلى جمل كى يحملها .
المرأة (٣) : أخذوا جملى ..... قتلوا زوجى
حيث تمرد لم يطع الأمر .
غيلان : أمر أىُّ أمر !! ؟
المرأة (٣) : فى يوم قبل صلاة الفجر
أخذوا زوجى للقصر
قالوا أنت عفى وقوى
تصبح سجاناً فى القصر
لكن زوجى قال
أنا فلاح أزرع فى الأرض
أُطْلِقُ عود الزرع مِن البذرة وأحرِّرُهُ
فكيف سأسجن رجلاً عن نور الشمس .
صالح : قتلوه إذن .
المرأة (٣) : يا ليت/كان يهون الأمر .
صالح : ...... قولى .
المرأة (٣) : عاد الرجل من القصرْ يتقاطر منه الدم
كأنثى فى يوم الحيض .

غيلان : سترك يا رب .

المرأة (٣) : ثقبوه من أسفله حتى أعلى الرأس

(تبكى) : ومضى ينزف ، حتى نزف القلب

وبكى بالليل كصوت بعير فى الصحراء

يَضِلُّ طريقه

بكى ثم تمايل آخر ميلة

ومضى نحو الرب .

(تنهار) .

غيلان : ابكى يا عين الشمس دما

لا يتحمَّلُه الصبر

اشهد يانبت الأرض

سجل يا نخل الله استشهاد الحق

(إلى صالح) .

عوضها عن هذا الرجل الطيب ألفى دينار .

صالح : هوِّنْ عن نفسك

لابد أن نلقى أكثر من هذا .

(تقطع المسرح امرأة مجنونة ورجل خلفها) .

آمنة : ردوا عقلى .... طفلى

آه لو أملكه فسأقتلهم .

صالح : هاتوا الرجل
وهاتوا المرأة .

غيلان : ما خطبكما .

(النظرات زائغة والحركات مجنونة) .

آمنة : قتلوا الطفل
أخذونى من فوق النهر .

صالح : قل ما شأن المرأة .

الرجل : هذى آمنة من لا يعرفها ؟!
امرأتى كانت عند النهر
تغسل أثواب الطفل .

آمنه : طفلى كان جميلاً .... أحلى من عين الزهر .

الرجل : مرت عربات الصيد
فرآها سيد ذاك القصر
فانقض عليها الحراس وحملوها معهم .

آمنة : كانوا كالغربان على جثة ليث
كظلام أطبق فى عنق الفجر .

غيلان : ولماذا ؟!

الرجل : أعجبتْ السيدَ . . . . أخذوها والطفل .

آمنة : قال تعالىّ ذهب . . . وملابس عطر
يا كلٍّ جوارى القصر ، هى لكم الآن
ولتخرجِ من حمام القصر كحوريات الجنَّة
وخرجت من الحمام
مثقلة بجواهر ، بملابس لا تستر شيئاً
أخذونى فى حجرة هذا السيد
لكنى قاومت
فأَمَرَ الخدمَ بإمساكى
ضاجعنى فبصقتُ عليه
وقذفت بما فى أمعائى فوق فراشه .

الرجل : أَجَّلها لليوم الثانى
وهَدَّدَها بالطفل .

آمنه : حين دخلتُ الحجرةَ والحراس
كان الرجل العارى منتصباً
قال كلاماً حلواً
مد يداً بالكأس .

قال : إن يحدث ما حدث الأمس

فسأذبح هذا الطفل

(تتغير لهجة الصوت وتتحول إلى عذوبه) .

كان الطفل نقياً وطهورا كنبى

حاولت شراب الكأس

(بانكسار) .

من أجل الطفل

لا تسرف فى لوم الأم

إذا سقطت من أجل الطفل

لكنى لا أدرى

إلا أنى بالكأس شججت جبين السيد

وبصقتُ عليه .

(تستمر فى حالة هذيان) .

الرجل : ذبح الطفل .

صالح : يا للهول .

آمنه : نافورات الدم الحمراء

تغرق أرجاء القصر

رأس الطفل ورأس الشيعة والأحباب
القصر أساس الظلم .

الرجل : أخذوها للسجن .

آمنه : أمسكنى والحراس
عرونى من كل ثيابى
أُدخل كلبٌ فى حجمِ الأسدِ وضاجعنى
كانت ضحكات السيد والحراس
تسدُّ الأفقَ أمامى

لكن كنت أرى الله بركنِ السجن يصلى
يقطر من عينيه الدمع .

غيلان : هذا فاق الوصف
خذوهم كى يسمع ثم يرى
هل يُرضى ربى هذا الظلم
أَيُذَلُّ الإنسان إلى هذى الدرجة
ماذا لو خالفنا فى الدين وفى الملَّة ؟

صالح : (يلاحظ أم غيلان)

هل من أحدٍ آخر؟!

(تنطلق الأصوات من المجموعات على المسرح ومن الصالة).

وأنا : ....

وأنا : ....

وأنا : ....

إظلام.

الفصل الثانى

١ — المشهد الأول خروج

٢ — المشهد الثانى وجه

٣ — المشهد الثالث نهاية

المشهد الأول
خـــروج

١ — غيلان وحده فى الصحراء بعد خروجه من مصر فى طريقه إلى الشام .
٢ — مرور رجال وأصوات بعيدة دليل على القافلة «يمكن الاستعانة فى بعض المشاهد بالسلويت أو الظل أو عرض سينما لتوضيح الحدث».

غيلان : ليل يتشعَّبُ ويلقِّح رمل الصحراء
يَتَغَيَّبُ فيه القمر ، وتُطمس كل نجوم السير
فلا النجم القطبى يرافقنى

والقلب تفتتَ من ثقل الهَمّ
يا قلبى المصدوع بكلمة حق
منذ متى تتوخى التُقْيَةَ وتخاف
والفتنُ كقطع الليل انداحت فوق الناس
وخروجى من مصر إلى مصر
فرارٌ من قدر الله إلى قدر الله
ليت الأمرَ يهون
(بحسرة) .
أترك أحباباً فى مصر
كم كان توحُّدُنا يدفعنا نحو الفَهْم
ونحو مواصلة القول الفعل
لكن ماذا يجدى أن يصبح أمرى سراً
وعيون العسكر لا تفتأ تدخل فى قلب الناس
تقلِّبها وتفتش منهم حتى الرأس
(بألم) .
وحدى . . . أنا وحدى
فى الطرق المأهولة بالأهوال . . .
أنا وحدى
أصرخ من هول الرعب
أنا وحدى

أواجه كل طغاة الشر بكلمة حق من عقلى
فَتُشْرَعُ كل خناجرهم فى صدرى
أبقى فى الساحة وحدى
وحدى . . . أنا وحدى
وحدى والصحراء وقلبى
(بهدوء وتأمل)
لكنى أشعر أن جيوشاً من فقراء
ومن فرسان تصهل خلفى
وأنا لا أمسك شعرتك الآن معاوية

فلا تشدد شيئاً
لا تُرخِ شيئاً
فأنا لنِ أرخى أبداً
يا مصرُ

(مناجاة)
رحيلى عنك عظيم
كحمام هجر العش وطار
فُزِّعَ من كل الأقطار
والنيل مواويل الصبر السارى حباً

لمواقيت تدفُّق كل الأنهار
يا مصرُ
الليل على وشك البعد
والفجر بأيدينا يقترب الآن

(بهزيمة)

لكن على شفتى الدم
ورائحة الدم تشُدُّ علىَّ الصحراء
فلتشدد يا رب الناس هزيمة قلبى بالعقل
ولتعطنى الحكمة حتى يقوى سيف الحق
ولترفع همَّة نفسى بالناس
ولتجعل فى الوجه قبولاً
فى القول دليلاً
فى الناس معيناً .

(يعبر المسرح رجال وأصوات بعير دليل على مرور قافلة) .

غيلان : (بهمس) هذى قافلة تبغى أرض الشام .
قلبى قال كذلك

فَلْأصحْبهم عَلَّ الأيام تفرِّج من كربة نفسى
(بصوت عال) .
يا أهل القافلة
يا أهل القافلة سلام .

(١) : (يلتفت إلى مصدر الصوت) وعليك سلام الله
من الرجل الزاعق فى قلب الصحراء؟
غيلان : رجلٌ من مصر .
(١) : (إلى بقية الرجال) من مصر ؟ !
(٢) : إلى أين ؟
غيلان : إلى أرض فلسطين .
(١) : لا . . القافلة إلى الشام .
غيلان (مترددا) : معكم يا أهل القافلة خذونى .
(٢) : هل من أحد إلا أنت .
غيلان : وحدى والصحراء .
(٣) : أقبل
غيلان : (يقبل ناحية القافلة)

سلام الله عليكم .

١ ، ٢ ، ٣: وعليك سلام الله .

(يواصلون المسير ويتحدثون) .

(٤) : كنا نبغى أن نتخير قبل لهيب الشمس مكاناً
نصلح حال الإبل ، وحال القافلة .

(٣) : نريح البدن المتعب .

غيلان : نأخذ وجه الفجر ندياً وطرياً حتى نصل إلى
غزة
وهناك نريح الجسد المتعب
وحين تميل الشمس نتابع رحلتنا .

(اظلام) .

(يضيء المسرح وهم تحت شجرة فى غزة) .

(١) : لكن لم أرض فلسطين اخترت؟

غيلان : كنت أودُّ زيارة بيت المقدس
ومقابلة العلماء بأمر الدين .

(٢) : ولماذا ؟ .

غيلان : أتعلم منهم ، فأنا طالب علم .

(١) : أين الأوراق

يبدو من رقة حالك لا تملك شيئاً .

غيلان : أملك نفسي وضميراً يبتعد عن الزيف
وجناناً حَيَّرهُ حال الناس
فعانق أوجاع الناس / فصارت
أوجاعه
فدخلتُ أُفتِّشُ فى كتب الله عن الإصلاح .

(٤) هل وصل العقل لشىء ؟

(١) : أترك هذا لله ولا تشغل نفسك .

(٢) : ابحث فى علمك ، وانصح كل الناسْ
بالطاعة لأولى الأمر
أو لَيْس أولى الأمر ولاة قد بايعناهم !!
وعليهم تدبير الأمر ؟!!

غيلان : يا سيد ــ إما أنك تستدرجنى لأقول كلاماً
تستوضح منه حقائق ما تبغى
أوِ أنك لا تدرك ما عاناه الناس
أوَ لَسْت من الناس ؟!
من أين الرجل تماماً ؟!

(٢) : من نجد .

غيلان : وبقيتكم ؟

(٣) : من مكة .

(١) : من أرض تهامة .

غيلان : يا إخوانى فى الله ، القافلةُ هنا يتشكك فيها العقل

فاعتاد الناس ، بأن القافلة مزاج منسجم

من أرض واحدة

تخرج تقصد أمراً ، تعرف وجهتها

وتعود بأمر

يحرسها حراس ، يحدوها الحادى

ويرأس قلب مشورتها أحكمهم .

فلماذا أنتم كلّ الحراس

ويتناوب أمر الحادى بينكم

والأحمال قليلة

هذا بعض متنافر ما وحَّدهُ إلا الهمُّ .

(٤) : يا هذا

أنت فَتَقْتَ السر

وأفصحْتَ بمكنون القلب

الطرق الآن بلا مأمن ، والقُطّاعُ انتشروا
كنا حين خرجنا قافلةً من نجد ،
نعرف أن هناك قوافل أخرى
قلنا نتوحَّد حين يلاقى كل منا الآخر
حتى تزداد القوة فينا
ومررنا عند (تبوك) فوجدنا أشلاء ، وبعيراً
بُقرت منها البطن ،
وبقيةَ معركة محتدمة .
وعقالاتٍ فوق الأرض ، مَيَّزْنَاهَا ، فعرفنا
أن القافلة المنهوبة كانت لتهامة ،
سِرنا بعض الشيء ، فى كل طريق كنا نبصر
نفس الشيء
فعرفنا أن الطُرق تزايد فيها الموت
قلنا ندرك قافلة كبرى تحمينا
لكن لم يخرج هذا القول عن الرأى
(يمكن عرض المعركة سلويت) .
إلا وجياد دهماء ، ولصوص
كجراد فاجأنا فى السهل
لم يمهل أحد منهم أحداً منا

دافع كل منا عن أن يحيا ، قُتِل كثير منا
وقتلنا منهم ، لكن أُخذتْ جلّ تجارتنا
فلممنا الجرح وسارت هذى الأشلاء بعيداً
عن أى طريق معروف
(نهاية السلويت) .

فتلاقينا وبقايا أخرى ، صرنا هذا الشيء
وحين سمعنا صوتك فى الصحراء
استبشر كل منا خيراً ، قلنا يزداد العدد
وتزداد القوة
ونحن نريد دمشق
سنمرُّ على أرض فلسطين ، لكن لن نتوغل
فيها .
هذى قصتنا فانظر ما الرأى ؟!

غيلان : أعرف ..... أعرف
أحسَسْتُ بهذا من منظركم
أرضُ فلسطينَ هى الدرَّةُ والقلبُ من الجسدِ
الأم (فى نجوى)

حَسْرَةُ آلامى . . . . مقلةُ عينى
فيها اجتمع نبى الله / محمد صلى بالرسل بقلبى
وأنا أعلم أن أحباء رسول الله
وأصحاب الفقه هناك
يقصدها المتفقه فى الدين
ومن أضناه الشوق إلى مَسْرَاهُ .

(٣) : نتركك هنالك فى أرض فلسطين
ونواصل طرق السير .
غيلان : وهل تأمن هذى القافلة بقية مسعاها
(٢) : قل انك تخشى أن تمشى وحدك .
غيلان : يعلم ربى أنى وحدى وترا فرداً
أتمنى أن أصبح جمعاً
لكن حق القول بأن أصحبكم حيث تريدون
ولعلى أجد بحلب شيخى [محمد بن الحنفية]
وأُعرِّج فيما يأتى من أيامٍ نحو فلسطين .

(٤) : رجل طيب / تزداد البركة بك
لكن . . . . . لا تغضب
عندى استفسار عنك .

(١) إلى (٤) : قرص الشمس يميل
فلنُعِدّ العدَّةَ للرحلة .

(٤) : على بركة ربى
(إلى غيلان) .
عندى استفسار عن بعض
الأحوال ألاحظها .

غيلان : قل يا شيخى الطيب .

(٤) : فى بعض الأحيان ، يأخذك التفكير
وتجيب إجابات لا يسهل أن ندركها
قلت لعلك من أهل الشيعة
لكنى أبصرت الشيعة فى بغداد
وأحوالك تختلف كثيراً عنهم
فقل لى ما قصتك ؟
وهل كان خروجك من مصر لطلب العلم ؟

غيلان : قلبى يأمن لك ، وسأنطق لك

وسأخرج ما سطَّره القلب
وإن كانت أمى يرحمها الله قالت
تقتل من بين شفاهك .
من وادى النيل جنوبى الفسطاط ، أنا
من بلد حَضَنَ الدين ، وأرسى فى الناس
شريعته
من بلد كل الأبناء بها جند حتى يوم البعث
فأجنادك يا مصر خير الأجناد
وانهموا فى بأسٍ ورباطٍ حتى يوم الحشر
حفظْتُ كتابَ الله بكتَّاب القرية
وتفقهت قليلاً فيه
لكن كانت تأخذنى أفكار من أحوال الناس
أسأل عن نفسِي وأفتِّش فى ذاتى
وإذا كلى أسئلةٌ تستعصى فوق الفهم
أسأل عن كنه الأشياء وحكمتها . . . لا
أُدرك شيئاً
سِرْتُ إلى الناسِ أسائلهم
لكن الناس تخفَّتْ تحت البَلَه وعدم الفهم

وأفرد كل منهم قلبه ، وانتظر وقوع السكين
به
تجاوزت كثيراً عن أحوال القلب المتعب
ورُحْتُ أقارن شرع الله وأفعال الحكام
فرأيت الظُلْمَةَ تزداد
وارتعش القلب
صرخت بكل الناس . . . . هبوا
لكن الناس اعتصموا بحبال الصمت
حتى كان اليوم
زاد الحْيفُ وزاد الجور
فأطلقت الكلمات الحُبْلى بالأسئلة الصعبة
تأتلق كحدِّ السيف بقلب الليل
فاكتسَحَتْ أقدام الشرطة دارى
وامتهنَتْ أمى
فعرفت طريقى . . . ليس سوى العدل
تجاوزْتُ البلدان وسرت إلى الصحراء
أكسب قوتى بالعمل الكاد هنالك فى قطع
الأحجار

ولأنى كنت صغيراً
كان الأجر قليلاً
كنت أدارى أمرى
وأتفكر فى الفعل
ودعانى شوقى المتأصل فىّ
وحبى للناس
ودمعات الأم الساقطة دماءً
فوق تراب الدار تَرِنْ
وصوت الحزن بساحات الدار يئنْ
(قالت أمى : مقتلك هنا
وأشارت ما بين الشفتين
قلت لها يا أمى قول الحق جهاد)
عدت إليها
لكن الدار انتُشلت من فوق الأرض
ومكان الدار خواء
أرض خراب
فتساءلت فقالوا :
سقط البيت وماتت أمك تحت الأنقاض

أحسست بأن الصدق بعيد عن هذى
الكلمات
بُعْدَ الحق عن الباطل
وفهمت رسالتهم
واتضح طريقى
فحزمت أمورى وتوكلت على الله
فواسعةٌ طيبةٌ أرض الله
وغداً يتحقق ما أرجوه
وإن طال الزمن الوغد
سيعمُّ العدلُ بأيدى الخلق
وتدّولُ دويلاتُ الباطل .

(٤) : آهٍ يا ولدى
أجهدت القلب المُتْعَبَ
وحدك فى هذا الليل تضىء كنورٍ يتوهجُ
وحدك فى هذا التِّيهِ علامة صدق
عود أخضر
وحدك يا ولدى
(بهمس) . يلزم جمعُ الشمل

واعداد العدَّة
إخفاءُ الأمر
حتى تستنهض كل الناس
فَيَدٌ واحدةٌ لا تصنع شيئا
وحذارى من إفصاح الأمر
وتدبّر أمرك
واعرف من سيُسْلِمُكَ إلى أقربِ شرطى
واعرف من سيكون يمينَك
واعرف من لن يفشى سرك ويكون بعيداً
عنك
لكن اعلم
من يفشى السِرَّ
ومن يكتمهُ
من معك
ومن ضدَّك
يعلم أنك أنت الصادق
أن الكلمات هى الحق
لكن للخوف شئون وشئون

فاحذر أن تسقط فى بئر الحق
بأمانيك الطيبة الحلوة .

غيلان : يفعل ربى ما شاء بقلبى .

(٢) : نتزوَّدُ بالماء ونرحل
حتى نلحق أول بيت عند صلاة الفجر .

(٣) : نسير مع الريح اللينة ونبدأ بعد صلاة الفجر
فنصلى فى أرض فلسطين .

(٤) : أعدوا الرحلة يا قوم .

(اظلام)

المشهد الثانى
وجـــــه

فى قصر الخليفة وفى مجلسه بهو تمتد به موائد الطعام والفاكهة ـ الخليفة يتصدر المجلس وحوله الندماء والجوارى والغلمان وفى جانب المسرح القيان يعزفن ويغنين .

غناء : أدور ولولا أن أرى أم جعفرٍ

بأبياتكم ما درتُ حيثُ أدور
وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى
إذا لم يزر لابد أن سيزور .

الخليفة : : أعيدى علينا ، ولا تحرمينا
فحسنك يطغى على العالمين .

الجارية : أمر مولاى (تعيد الغناء) .

(الندماء أثناء الغناء يبدى كل منهم استحسانه) .

الجارية : لياليك تؤنس قلب الخلى
وتذهب هَمَّ الليالى الثقيلة
وحسنك كالبدر فى الداجيات
ينير لدنيا الهوى ألف ليلة .

غلام : ولا ألف ليل ولا ألف صبح
يمرُّ فنشعر أن الزمان يمرْ
فأُنسٌ وعشق وخمر وشدو
يجدد أحلى ليالى العمرْ
وزاد الخليفة بهجة حفل

فحل السلام ورب البشرْ .

الخليفة : لا تختصموا هاتِ شراباً

(الغلام يقدم الشراب) .

غنّى يا جارية

(فما هو إلا أن أراها فجاءة

فأبهت حتى ما أكاد أجيب) .

الجارية : أمر مولاى « تغنى » .

(بعد انتهاء الغناء) .

حاجب : مولاى الشعراء بالباب .

الخليفة : لم يحضر بعد رئيس الشرطة ؟!

حاجب : لم يحضر يا مولاى .

الخليفة : أدخل شعراء الدولة .

حاجب : أمر مولاى .

(يدخل الشعراء) .

شاعر (١) : أتينا إلى باب الخليفة نرتجى

له كَفُّ راح بالندى يتبختر .

شاعر (٢) : وأصبح كل من بنات رياضهِ

قصائدَ مدح للخليفة تُنظر .

شاعر (٣) : فلا كان منا مادح غير عاشق
لحسنك والله العليم المقدِّر .

الخليفة : تفضلوا . . . . . . يا غلام
هاتِ شراباً
يا جارية هل عندك غناء يذهب الهمّ

الجارية : عندى يا مولاى .

الخليفة : هيا .

الجارية : (تغنى) .
ستبقى لكم فى مُضمر القلب والحشا
سريرة حب يوم تبلى السرائر .

الشعراء : ستبقى والله .

الخليفة : أحسنْتِ يا جارية .

يا غلام : ثلاثة أرطال معتقة
وثلاثة آلاف درهم لكل منهم
وجواد لكل شاعر
انصرفن ياقِيان .
(للندماء) .
اشتاقت نفسى للصيد
ماذا يصنع هذا المجنون رئيس الشرطة ؟!

أهو يخلق أرضاً
أم يبنى اسطبلاً ؟
أم يصلحُ طرق الصيد ؟

(١) من

الحاشية : يلزم للأمر الحِكمة
لا داعى أن يأخذ أحد
هذا الأمر ذريعة
ضدك يا مولاى .

الخليفة : ضدى ؟!
ضدى ؟! كيف ؟
أُصْلِحُ طرقَ عبادِ الله
هذا أمرٌ سأثاب عليه
فيصبح ضدى ؟

الحاجب : رئيس الشرطة يا مولاى

الخليفة : أدخله .

رئيس الشرطة : سلام الله عليكم .

الخليفة : ماذا فعل رئيس الشرطة ؟. .

رئيس الشرطة : طرق الصيد ممهدةٌ ، وغدا يمكنك السير بها

والاسطبل به الخيل ، وعربات الجر .

الخليفة : أين المرأة تلك ؟

من أحضرناها من أرض حلب .

رئيس الشرطة : آمنة ؟

الخليفة : تلك الملعونة لا يؤمن جانبها .

رئيس الشرطة : أخرجناها

فقد صارت .

(ويشير بعلامة الجنون) .

الخليفة : فعلاً .

رئيس الشرطة : فعلاً يا مولاى .

الخليفة : هى شقة بطيخ أحمر

زهرة نرجس

قطٌ سقط بفخ

أو جندى يخشى الموت

(يشير بيده) لكن مجنُونة .

رئيس الشرطة : لا تعرف معنى النعمة

هذا صنف يهوى الفقر

ولا يبغى أن يتشرف بالسادة ..

الخليفة : ما علينا

اتمنى أن تسفر رحلة باكر

عن ريم أبيض

لا عن قِطٍّ يا رأس الأفعى .

رئيس الشرطة : تُسفر يا مولاى .

أحد الحاشية : يميل على أُذُن الخليفة .

(الخليفة لرئيس الشرطة) : أراك بخير يا ذيل الكلب

لِمَ لمْ تُخبرنى عما يجرى فى القطر .

رئيس الشرطة : خفت بأن أزعجك

والأمر بسيط

بضع رجال ونساء

ساروا بالفتنة بين الناس

وأرادوا أن تتوقف كل مسيرات الإصلاح

يبدو يا مولاى أنهموا (بهمس)

مندسون

أو أن هنالك من يدفعهم

نحو العصيان

لصالح أفكارٍ أخرى

لكنّا نصحو للفتنة
ونضرب بيد من نار وحديد
فوق رؤوس الفتنةِ حتى لا تنهض
لا تخشَ منهم يا مولاى
كلهموا فى الحبس
وسنعرف كيف يخرُّون بمن دفعوهم
نحو التخريب
وعرقلة مصالحنا .

الخليفة (باندهاش): بضع رجال ونساء
أين همُ الآنْ ؟ .

رئيس الشرطة : أحضرنا كل رجال القرية .

الخليفة : ولماذا لم تحضر بضع نساء
كنا نعرف منهم أكثر .

شاعر : هم أصل بلاء الكون
وشدة فتنته .

(٣) من الحاشية : لا يوجد رجل مدفوع إلا خلف عمامته
امرأة .

(٢) : تُحضر زوجاتهمو

وبناتهموا حتى نعرف منهن .

(١) : حين يرى كل منهم ما حَلَّ بهن
فسينزل عن صلفه
وسيعترف بكل الأمر .

رئيس الشرطة : الأمر كما يأمر مولاى .

الخليفة : كلامك مثل العسل وفعلك أسود
لا تعرف كيف تشذِّب هذى الشذرات
المرتعدة
آهٍ يا ذيل الكلب
إنى أطلب تقريراً منك الآن
حتى أعلنه للكافة
عن هذى الطغمة
وكيف كشفناها فى المهد
وكيف حمينا الأوطان من الفتنة .
حتى يرتدع المعوج
وتدخل رأس الأفعى الجحر .

(٣) : وإذا لم تظهر قوة هذى الدولة
وسط فتوحات بُسِطت فوق الأرض

فستصبح كل ثغور البلدة عورة
وسينتهك العلويون الدولة من داخلها
ويظن الناس بأن العقد انفرط
ولن يلتئم الشمل
فيتطاول بعض الأرذال على عِلْيَةِ هذا البلد
من الأشراف
ويطمع بعض الأوغاد بكرسى خليفتنا
الخليفة (برعب) هذا حق
(لرئيس الشرطة) أسمعت يا بوز الإخص
رئيس الشرطة : هون عن نفسك يا مولاى
سأعد التقرير وأحضره فوراً .
(١) : ماذا يعنى فوراً
لابد أن التقرير مُعَدّ
اسمع اكتب
هذى الطغمة دوما تندس هنالك وسط
الناس
أخذت أفكار الشيعة
واندفعت تعلن أحقاداً مكبوتة

نحو خليفة دولتهم
وتريد بأن تُرجع هذا العصر الذهبى الآن
إلى سالف أيام العزلة
وتُمنى العامة بوعود براقة
وقد اعترف الواحد منهم تلو الآخر .

(للخليفة) .
من دبّر هذى الفتنةِ يا مولاى .

الخليفة : كان بودى أن يُصبح هذا الجرذ رئيس الشرطة .

رئيس الشرطة : عفوك يا مولاى
سامح خادمك وحارسك الأوحد يا مولاى .

الخليفة : دَبِّر هذا الأمر بسرعة (للحاشية)
هذا الشرطى المتخم بالمال وباللحم
حتى صار كما بغل يعلف
(لرئيس الشرطة) . أسمعت التقريرَ الموجزَ
والقابضَ فوقَ زمامِ الأمر

وكأن الرجلَ الجالسَ بجوارى كان هنالك
معكم

للرجل (١) .

هل كنت هنالك معهم .؟

(١) : حقاً يا مولاى
واعترف الواحد منهم تلو الآخر

(الخليفة) : جَهِّز هذا التقرير
وتفقَّهْ فيه بشأن القانون

(بتهكم) .

وشأن الهرج الدائر تحت عيون
سعادتكم .

رئيس الشرطة : سمعاً يا مولاى .

(ينصرف) .

(٢) : يا شعراءُ فليعدد كل منكم
جُلَّ قصائده فى ذمِّ الفتنة
والتنديدِ بمن أشعل نيران الأحقاد
وليمدح نعمةَ عرش خليفته

ويُظْهِرُ فى كل الأبيات مزايا الأمن
وكيف يَسُوْسُ خليفتنا الأمر
ولا يتدخل فى عمل الشرطة
هذا مبدأ فصل السلطات .

الشعراء : نحن هنا رهن إشارتكم
لكن نعرف مَنْ خلف الفتنة .

الخليفة : اتصلوا برئيس الشرطة
هذا البغل الضالع فى النوم
وفى افساد مباهجنا .

(٢) : أضاع جمال الحفل .

الخليفة : يا غلام هاتِ شراباً
(أحضروا القيان للغناء) .

(تسمع موسيقى مع إظلام المسرح) .

المشهد الثالث

نهـــــاية

« متجر لبيع الأقمشة به صاحبه الدمشقى وغيلان ، يطل على شارع به رجال ونساء وأطفال يهرعون يقطعون المسرح جرياً ويتكلمون » .

(١) : ليلة أمس .

(٣) : لا يوم الجمعة قالوا هذا حين تقابلنا بعد حلب .

امْرأة (أ) : زوجى لا أعرف أين ذهب .

طفله : تعبت قدماى من الجرى
احملنى يا أبتى .

(٢) : أكثر مما أحمل ، مهلاً حتى نصل إلى بيت
نعرفه .

امرأة (ب) : هدموا البيت وماتت صاحبة البيت به
والرجل تحير أين يقيم
فأقاموا الشبهة حوله
وأخذوه إلى . . . .

(تشير بيدها دليل على السجن) .

(٣) : وجَدَ المأوى .

(١) : صمتاً يا وجه النحس
كفى ما كان .

امرأة (ب) : أتخشى أن تذهب يا ذيل النعجة
أَنْتَ عديمُ النفع
اذْهَبْ أخذتك النقمة .

(٣) : نتفرق حتى لا تأخذنا الشرطة .

طفلة : جَوْعَى يا أمي .

امرأة (جـ) : أيُّ طعامٍ أحضرهُ الآن
نبغي مأوى .

(٢) : اجرى يا امرأةُ هذا زمن لا تأمن فيه
العقربُ صاحبها .

غيلان : ماذا يحدث للخلْقِ ؟

صاحب الخان : يبدو أن الشرطة تفعل ما اعتادت أن
تفعلْ
تطرد أصحاب الأرض
وأصحاب الدُّورِ . . وتنهبها
أو تأخذُها تحت ستار مشاريعٍ
وهمية .

غيلان : ولماذا ؟
يكفى ما سُلِبَ من الخانْ أول أمس
بلا حق .

صاحب الخان : هل نحن عرفْنا سبباً
سَلْهُم إن شئت .

غيلان (ينادى) : يا سيد أقبل فتبرَّد من ماء وارتاح .

(٣) : يبدو أنك من بلدٍ غير دمشق
أو أنكَ من أصحاب الشرطة .

غيلان : نحن عباد الله
ونحن هنا إخوة .
(٢) : هذا رجلٌ صادق
فلنتبرَّد بالماء قليلاً .
(١) : سلام الله عليكم يا إخوان .
(يقبلون على الخان) .
غيلان : وعليك سلام الله — خذ —
(يقدم له إناء به ماء) .
(١) : أَخَذَ الله عدوك
وأعانَ الناسَ على ما هم فيه .
صاحب الخان : من أين إلى أين ؟
من حلب وإلى أيِّ مكان
ومن أي مكان وإلى أيِّ مكان .
غيلان : ولماذا ؟
(٣) : الشرطة تُوسِعُنَا ضرباً
ومن يتوجع يُؤخذُ للسجن .
(٢) : أخذتْ أرضاً وبيوتاً وضياعْ .
امرأة (ب) : حتى ابريق نحاس / طست ومخدة .

(١) : مخدة ــ لينام عليها العدل .
امرأة (جـ): ألا يوجد عندكما شيء للطفلة .
غيلان : عندى يا أختُ .
(يعطيها صرَّة) .
صاحب الخان : أعطها البعض وخلى لك بعضه .
غيلان : شَبِعٌ والله يا عم .
المرأة (جـ): رَدَّ الله لك الفَضْلَ بأحسنَ منه .
(تطعم الطفلة والطفل) .
غيلان : لكن لِمَ تفعلُ فيكم ذلك ؟
(٤) : ولِمَ لا تفعل ذلك
هذى أصنافٌ من خلقِ الله
أُخِذَتْ من وسطِ ذويهم
وليس بقلب الواحد شيء غير براءةِ
هذا العالم
لُقِّنَ كل منهم
أن الناس إذا سمعوا اسم الشرطةِ
هربوا
فإذا وقفوا كل يُضمر شراً

فالأَولى أن تقتله .

(٣) : (بلهجة الأمر) . دافِعْ عن نفسك
اضـــربْ فـوق الـــرأسِ وعـلى
الأجناب .

(٤) : كَسِّرْ كل عظام الساق
لو نهضَ الواحد منهم فسيلقى طوب
العَالَم فوقَك .

(٢) : لو أطبق أحد كفيْهِ على عنقك
فسيأخذ روحك بين أصابِعهِ .

صاحب الخان : لا حول ولا قوة إلا بالله
هل هم جند الدولة ، يحمى كل
منهم ثغراً ؟ .

(١) : لا هم جندُ الداخلِ
أما أجناد الدولةِ قَلَّ العَدَدُ وقَلَّتْ
عُدَّتهم .

(٤) : قالوا لجنود الشرطةِ
أنتم أجنادُ الله على الأرض

حُرَّاسُ خليفتنا / ظِلُّ الله على
الأرضِ
الماسكِ بأصابعِهِ ميزانَ العدل
وأمن خليفتنا في عنقِ الواحدِ منكم
دَيْنٌ
حَاذِرْ أَنْ يهتز خليفتنا يَسْقُطَ من يده
الميزان .

(سلويت) .

(٢) : أعطوا كلًّا منهم بعض عصى
جعلوا الواحد جنب الآخر صفاً
والصف يواجه صفاً .

(١) : أعطى القائد أمر الضرب
يضربُ كل منهم صحبه .

غيلان : للتدريب .

(٢) : مات البعض .

(٣) : والبعض تحول حيواناً أخرس

لا يتقن إلا فن الضرب
لا يستعمل هذا العقل .

غيلان : أغلى ما مُيِّزَ به .

(١) : قُلْ أصبح حيواناً أعجم .

(انتهى السلويت) .

(٤) : واحتفظوا بالشرطة فى أوكارٍ
حتى يَحِنَ الأمر
مثلاً
لو كان خليفتنا يأمر أن الموكب
سيمرُّ بأرضِ حلب .

(٣) : تخرج كل الشرطة أرديةً ودروعاً
وعِصِيًا
تقفُ على كل الطرق .

(٢) : ما بين الواحد والواحد اثنان .

(٤) : وتُفَتِشُ كل المارة .

(١) : تمنعُ سير الناس .

(٣) : ثم فريقٌ يدخل كل بيوتِ القريةِ
يسألهم

عن أسماءِ الأطفال
هل لكمو أحد فى السجن ؟
من الشيعة ؟
من أى فريق آخر ؟

(٤) : هذا فى اليوم الأول للإعلان عن الموكبِ
أما فى اليوم الثانى .

(٢) : تُضْرَبُ كلِ بيوتِ القريةِ
كما قَدَرٍ دَقَّ الباب
وتُؤخَذُ كلِ رجالاتِ القريةِ
لتُوسِعَ وتُمهِدَ طرقَ الموكب
وتَرُشَ بماءٍ وبرِملْ .

(١) : والشرطةُ لا تَفْتأُ تضربُ فوقَ الظهرِ المحنى .

(٤) : وفى اليوم الثالثِ يأتى الموكب .

(٣) : ويمر ولا أحد يبقى
إلا مضروباً أو مصروعاً
أو منزوياً خلف جدارْ .

(٢) : هذى أَوْسِمَةُ الموكب
نَحْمِدُ رَبَّ العزةِ .

غيلان : أَلَا يوجدُ فيكم عاقل !! .

(١) : لا نحتاجُ له .

غيلان : يقول لهذا الظالم قِفْ .

(٤) : إن وُجِدَ العاقل ذهب إلى السجن
وعاد بدون الصحةِ والعقلِ .

(٣) : إن عَادْ !!

صاحب الخان لغيلان : هل كان سينفعك العقل أول أمس
حين هَمَمْتَ بأن تُمسِكَ بخناقِ
الشرطة
لولا أنَّا أمسكنا بك
وأدخلنَاكَ إلى المخزن وتركنا كل
بضاعتنا فى أيديهم
يا غيلان إنى أحببتك كابنى
وأعطيتك لقبى . . . فاهدأ .

غيلان : كيف ؟!

وهذا النائم فى القصر
ألا يدرى شيئاً من هذا
كيف يطيعُ الناس وليّاً لا يدرى عنهم
شيئاً .

(١) : ولماذا نعصاه
هذا قَدَرُ الناسِ .

غيلان : لا يصنعُ قدر الناس سوى الناس
هل وُلّى من فوق الناسِ ليقهرهم
أوَ لا يدرى أن الناسَ هنا فى رُعْبْ
أوَ لا يعلم أن الدنيا ضاقَتْ من هذا
الظُلْم
أوَ لا يعلمُ أن دوامَ الحالِ مُحَال .

(٤) يكفينَا أن يخرجَ مبتسماً
ويَلُوِّح للأطفال
ويمنحنا بركته
ويكلم أهل الثِّقَةِ بكل صراحة
وَيَعِفُّ عن العيبةِ
هو طيبُ / والله حدَّ البَلَهِ .

غيلان : الحاكم أفعال تظهر قدرتها فى الناس
لا نحيا من وحى سروره
لا نأكل من تلويحه
والمفروض بألاَّ نذكر أحداً بالغيبة
ونعفَّ عن المعصيةِ
هذى أحوال (الإنسانِ) العادى
فما بال الحاكم ؟!
الحاكم لا يتولى كى يفعل هذا
يتولى كى يصلح من أمر الناس .
ويقيم العدل .

(٢) : أيصلحُ أحوال الناس جميعاً
وحده
رجل طيب أو أخرق أنت
هو حاكمنا
ونحن عبيدٌ عنده .

غيلان : نحن عباد الله فقط
أنت وهذا الحاكم واحد
كل منكم مثل الآخر .

(٣) : يا سيد فاصبر
أنت فهمت بخطأٍ
هم عِلْيَةُ هذى الدنيا
ونحن رعايا
هم من نسل رسول الله .

غيلان : قال رسول الله
عن فاطمةَ الزهراء
أَقْطعُ يدها إن سَرَقَتْ
الحاكم إن لم يحكم بالشرعِ
فلا طاعةَ لَهْ .

(٤) : تَاهَ الموضوع
كنَّا نتحدثُ فى موضوعِ الشرطةِ
فلما دخلُ الحاكم هذا!
هل لو سَرَقَ السارقُ فى السوقِ
أيُسأل عنه الحاكم ؟

غيلان : نعم : السارقُ لا يسرق إلا من
جوع
والحاكم يستعرضُ كل شكاياتِ

الناسِ
ويوزع أعباء الدولةِ بين الأمراءِ
ويحاسِبُ كلًا منهم
ويقيم العدل
وإلا وَاجِبَ كل الخُلْقِ محاسَبَتُهْ .

(١) : لا . . . لا . . . لا .
هذا شَطَطٌ سيعرضنا للقتل .

(يقومون وينصرفون)

صاحب الخان : زدْتَ هياجاً يا غيلان
والرجل تزعزع فوق العرش
يضرب فى أىُ مكان
والشرطة صارت مجنونة
الحالة لا تعطى للعاقل أى أمان .

غيلان : ما عدت أطيق الظلم .

(يقبل صالح وصحبه) .

صالح : سلام الله عليك .

صاحب الخان : وعليك سلام الله .

صالح : ومن منا يصبر فى هذا الليل الرابض
فوق الناس .
غيلان : أهلاً يا صالح .
صاحب الخان : يا صالح نحن نود بأن تنصح غيلان
لا أَن تشعل ثورته
لا تُرْدِ الرجل إلى حتفه
لم يحن الوقتُ لذلك .
غيلان : يا صالح
حين تقابلنا فى المسجد
فى أول يوم كنت رأيتك فيه
وسألت عن الشيخ الزاهد ابن
الحنفيه
وكان يلازم بيتَه / خشية
سلطان الظلم
فى بيتك بُحْتُ بكل السر
وتدارسنا فى الأمر
وعاهدتك ألا أعلن رأى . . . إلا
للخاصة

حتى يفهم كل الناس .

صالح : وحين تحدثنا للناس

وجدنا أن الواحد يعرف أكثر مما

تعرف .

صاحب صالح (١) فما قلت لأحد شيئاً إلا زادك .

غيلان : وفسرنا كل مشاكل خلق الله

وطرحنا مشكلة القرآن

ومشكلة الجبر وتَخيير الإنسان

والمرجئة وزيف دعاويهم

لكن كان الإنسان هو الهم الأكبر

عندى

تلك قضايا يفهمها الناس

إذا وجدوا اللقمة والأمن

وحين عملت لدى صاحبنا هذا

الرجل الصالح

أعطانى لقبه / عاملنى كأولاده

وعرف الأمر

فتعاهدنا أن نكتم هذا السر

لكن تَعِب الصمت على شفتى
وما عدت أطيق الحبس .

صاحب صالح : الناس تفرُّ من الهلع إلى أى مكان
(٢) : والأسواق توقفت الآن
والجوع يدب بكل الطرق
ويخرج من مُقلِ الناس
حتى حسد البعضُ البعضَ
على شربةِ ماءْ .

(يدخل الشيخ على) .

الشيخ على : سلام الله عليكم
أسمعت الخبر الآن .

صاحب الخان : خبر كل دقيقة .

غيلان : قلبى يهتز برعب . . ماذا ؟

الشيخ على : مات خليفتنا
ويبدو سيؤول الأمر لعمر
لكن الأمويين يخافون الأمر .

صاحب الخان : هو رجل ورع وتقى ونقى .

غيلان : لكن هل يقبل أن يأتى للحكم وراثة

وهو من خَلَفِ ابن الخطاب
فعمر بن الخطاب شقيق الأم .

صالح : ويا ليت العِرْقَ يَدِسُّ
فيكون الولد لخاله .

صاحب الخان : يبدو أن الأمر عسير .

الشيخ علي : دعونا نترقب ما يحدث

(يسمع صوت الناعى) .

يا أهل دمشق
مات خليفتكم
لله الأمر
وغداً يتسلم من يقع عليه الدور
أمور الحكم .

(يقل النداء إلى أن يخفت
ويتدرج فى الظلام) .

الفصل الثالث

١ — المشهد الأول : المؤامرة

٢ — المشهد الثانى : المحاكمة

٣ — المشهد الثالث : البداية

المشهد الأول

المؤامـــرة

[قصر هشام بن عبد الملك حوله حاشيته ، نساء ، ورجال من العائلة ، فقهاء كاتب القصر . حُرَّاسْ] .

(يبدو هشام قلقاً فى انتظار شىء ما) .

رجل من العائلة : يا مولانا

وُزِعَتْ الأرض على الغوغاء

وتساوينا معهم فى كل الأشياء

حتى قَصُرَتْ قامتنا
وارتفَعَتْ قامتهم .

هشام : قد آن أوان العدل
هذا أمر منى
ترجع كل الأرض إلى الأمراء
ومن سُلِبَتْ منهم من آل أمية
وتعود الدهماء لنا أجراء
اكتب يا كاتب وانْفُذْ أمرى .

الكاتب : أمرك يا سولاى .

(يكتب الرسالة ويسلمها للحاجب) .

فقيه (١) : كلٌ يأخذ حقه
وخلقناكم طبقات
هل يمكن أن ترتفع العين عن الحاجب ؟!

فقيه (٢) : يقول الله
فيما معناه
فليتخذ البَعْضُ البَعْضَ لهم سخرياً
أَفَنُعَدِّلُ فى قول الله .

امرأة من العائلة : ومن أى البعض تراك ؟

فقيه (٢) : أنا من خاصة مولاى أمير المؤمنين .

المرأة : سبحان الله

لو لم يسمع عمر إلى غيلان الخارج

ما كنا فى أسوأ حال .

هشام : رحم الله عمرْ

أما غيلان

(بتهديد) .

أما غيلان فسأنفذ فيه الوعد

وحق أبى سفيان .

فقيه (١) : كما قال القرآن

هذا خارج

وجزاء الخارج أن يصلب يقتل

وتُقَطَّعَ منه الأوصال .

هشام : آهٍ يا غيلان .

فقيه (٢) : هدِّىء من روعك يا مولاى

فستلحقه الشرطة

كما لحقت صالح .

هشام : صالح هذا ذَنَبٌ
إنى أبغى الرأس .
امرأة (٢) : مولاى لا يبغى إلا الرأس
وكيف يُهَدِّىء من روعه
ولم يحصل بعد على الرأس
وقد سبَّ أباه وجده
وضيع أملاك الأسرة للدهماء
قد يتخفى فى أحد الأمصار
ويصعب أن تمسكه الشرطة .
(بتأمل وحذر) .
هشام : (واقفاً)
سأقتلهم بدلاً منه
لو أدى الأمر بأن أبحث
فى بطن الحوت
فى الأشجار
فى بيض الأطيار .
(بغيظ شديد) : سأمتع عينىَّ به مصلوباً
يقطر منه الدم على الأبواب .

فقيه (١) : هو قال بأن الإنسان مخير
فاختر يا غيلان .
هشام : يا حاجب
قل للحراس حين يجيء لنا
حامل بشرى غيلان
أن يدخل فوراً
فى أى زمان .
واحد من الحاشية : ماذا تنوى يا مولاى .
هشام : أن يُصلب .
فقيه (١) لا . لا . لا
لابد أن نحتاط لهذا الأمر .
هشام : كيف ؟
واحد من الحاشية : محكمة .
هشام : أَوَ يشْهدها الناس ؟
فقيه (٢) : نعم : يحاكم بما أصدر من أقوال
نأخذ أقوال المارق
ونفنِّدها بنداً بندا
ثم نناقشه .

واحد من العائلة : وإن أنكر أو جَبُنَ
أو غيَّر فى الأقوال .

هشام : لا لن ينكر هذا صنف مجنون
لا يجبن حتى لو كان السيف على الرقبة .

واحد من العائلة : وإن أنكر
فلدينا من شَهِد مقولته فى بيت المال .

الفقهاء : نشهدُ قَالَ وقال وقال
هل من شىء آخر يا مولاى .

هشام : لا يذكر أحدٌ منكم ما حدثَ ببيت المال
حتى لا أُقتلُ غماً .... يا حاجب .

الحاجب : أَمْرك يا مولاى

هاتِ شراباً .

(يحضر الشراب ويعطى الحاضرين وهشام) .

هشام : لم تصل الأخبار إلى الآن
آهٍ يا غيلان
تستعر النار بصدرى منك
لو أَقْتُلُ كل الناس

حتى آمنُ ألا تنبتُ كلماتُكَ
في آذان الدهماء
لو أعرف كيف أَشُدُّ الكلماتِ
من القلب
أو أمسحُ ذاكرة الأيامِ
لو أملكُ سحراً أو جِنًّا
يُنْسى الناس مشاهد بيت المال
آهٍ يا غيلان .

فقيه (١) : تمالك يا مولاى
رهن إشارتك نكون
لا تحمل هماً .

هشام : أنت حمار لا تفهم
كيف ؟
وقد نفذ السهم ، وخط على صخر الأيام
الهمّ .

فقيه (٢) : يُقتل صالح
ويُقتل غيلان

ونُسَفِّهُ فى السوق مقُولته
ونَدعو من فوق المنبر كل الناس
أن يتبرأ كلٌ منهم مما سمع وقال .

فقيه (٢) : ويستغفر كل منهم فى سره
إن هاجمه هاجِسٌ أو خاطر
أو . . . . . . ذكرى غيلان .

هشام : أنت الآخر أغبى من صاحبك الأول
وستبقى هذى الكلمات المُرَّةْ
فى آذان الدهماء
من رُدَّتْ لهمُ الأرض
من عرفوا طعم النعمة بعد الفقر
آه منهم أولاد الفقر وأولاد الخوف .

واحد من الحاشية : قلت الحل وعافاك الله .

هشام : (بحذر) اضبط أقوالك حتى لا تأخذ غضبى .

واحد من الحاشية : حين يُجَرَّدُ كلٌّ منهم مما يملك
ويعود الأمر لما كان

ستطأطىء رأس مرفوعة
وستخمدُ فى القلب مقولة غيلان .

فقيه (٢) : وسنزرعُ كل الطرق دروعاً وسيوفاً
وعِصياً .

بعض من الحاشية : ١ — وسيفتح باب السجن لمن يتنفس
دون إرادتنا
٢ — وستزرع جدران منازلهم آذان
٣ — أو أحداقاً تعرف ما يشغلهم .

حكيم من العائلة : لا . . . .
سيغرق كل منهم فى عمل جادٍ كادٍ طول
اليوم
ويَأْخُذُ ما يحييه ليوم
وما يكفيه لسترِ العورة .

فقيه (١) : جَوِّع كلبك يتبعك .

حكيم : فتنتظم الدهماء بسلك العمل اليومى
وتُلْقى فى آخر يومهمُ للنوم .

الحاجب : (يدخل) رسالة من الشيخ (رجاء بن
حَيَوه) .

هشام : هذا فقِّيه من حاشيتى
طالت غيبته
اقرأ يا كاتب .

الكاتب : (يقرأ الرسالة)
إن تقتلَ غيلان
خيرٌ من قتل الآلاف من الروم .

هشام : هذا رأى صائب
هو فقيه شيخ ومعلم
وصديقى
يبقى رأيان .

الفقهاء : نحن هنا
رهن إشارة مولانا .

هشام : والأوزاعى رئيس المحكمة إذن
(يقوم ويدور كأنه يحاصره) .
وبهذا حوصر غيلان
اخْتَرْ قدَرك يا غيلان .

آهٍ آهٍ (يتذكر أنه يحلم وأن غيلان حر)

من يدرينا أين تكون
إلى أى الأقطار فررت
هل فى مصر ؟
حتى لو فى قلب البحر
لو أن سحابة مُزْنٍ مثقلةٍ بالماء
تلفَّعْتَ بها حملتكَ
لأحضرتك يا غيلان
آهٍ . . . . آهٍ .

(جلبة تقتحم المكان ويدخل حارس معفَّر) .

هشام : ما هذا ؟
الحارس : أحضرنا غيلان .
هشام : (صائحاً غير مصدق) . ماذا ؟
الحارس : ألقينا القبض عليه .
هشام : على من ؟
الحارس : على غيلان .

هشام : قلها ثانية .

الحارس : ألقينا القبض على غيلان
وصُفِّد بالأغلال
بماذا يأمر مولاى ؟ .

هشام : أن يقتل . . . . لا . . . . . لا
(فتفكر مضطرباً) .
أن . . . . . ايه
أن يصلب لا . . . . لا
أن يسجن .
يسجن وإلى أن يصلب
تستمتع عيناى بالجثة فوق الباب
يقطُر منها الدم .

فقيه (٢) : (فى شماتة) . يا سبحان الله
وكأن الأغلال اشتقت من اسمك
يا غيلان .

فقيه (١) : بَلْ قل خُلق لها .

هشام : لم يخلق إلا للموت .

الحارس : هل أحضره يا مولاى .

هشام : (فى اضطراب)

أنا . . . . . لا

(فى همس) لا أقوى للنظر إليه

لا . . . جروه . . . إلى السجن

سأراه هنالك . . . . فوق الباب

حين يقطّع أوصالاً يقطر منها الدم

وستشهد كل الخلق .

(إظلام) .

المشهد الثانى
المحاكمة

[غيلان وصالح فى ناحية من المسرح خلف سور محكمة مستوى أعلى ، فى الوسط مستوى أقل ، هيئة المحكمة القاضى الأوزاعى والفقهاء عن يمينه ويساره ، بعض الأشخاص ، حاجب مع المتهمين وحاجب فى الجهة الأخرى ، ويعتبر رواد المسرح هم مشاهدى المحكمة] .

الحاجب : محكمة

بأمر أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك أيده الله

عُقِدَتْ عُقِدَتْ محكمة من فقهاء الدين

يرأسها الشيخ الجليل الأوزاعى

(يشير ناحية الأوزاعى) .

وفقهاء الدولة

لمحاكمة المارق غيلان وصحبه .

تعريف : هو غيلان المصرى الأصل

الكائن فى دمشق

الخارج من دين الله .

غيلان : كذبت ولا حزل ولا قوة إلا بالله .

الأوزاعى : صمتاً .... أكمل يا حاجب .

الحاجب : الخارج من دين الله

(صاحب فِرْقةِ الغيلانية)

لعنهم الله .

صالح : سفهك الله ومن خلفك .

الأوزاعى : صه يا هذا أكمل يا حاجب .

الحاجب : خرجوا عن دين الله
سبوا هشاماً ويزيدا
وأثاروا الفتنة والبغضاء بقلب الناس
بثوا الحقد بقلب الغوغاء
حتى طمع الدهماء
أن يملك كل منهم قصراً
مسخُوا كل القيم بقلب العامة
حتى ظنوا أن تتساوى كل الخلق
مع الأمراء
وقال بأن الإنسان مخير
لا يجبره الله تعالى
أستغفر ربي
ولهذا نعقد محكمةً
فليتفضل قاضينا العادل [الأوزاعى]

الأوزاعى : (لأحد الفقهاء) . تَوَّلَ الأمر .

فقيه (١) : يا غيلان
هل تؤمنُ بالله .

غيلان : هل تعرف أنت الله ؟

الأوزاعى : (منفعلاً)

لا تسأل .

غيلان : لا ترجأ أجوبة عن أسئلة

يا شيخ المرجئة وشيخ هشام

الأوزاعى : امتثل لأمر المحكمةِ ولا تُحدثُ هرجاً

أو مرجاً

أطعْ الأمر .

غيلان : من ولاكم هذا الأمر .

فقيه (١) : مولانا هشام بن عبد الملك ألا تعرفه ؟!

أجب هل تؤمن بالله .

غيلان : الله هو العدل بهذى الأرض

النور المطلق

الحق الخالص

هل تعرف شيئاً عن هذا ؟!

فقيه (٢) : ولماذا تنكر بيعته

علماً أن البيعة تمت بالإجماع

وإجماع الإجماع
أَوَ حَقِ كتاب الله .

غيلان : لا تُقبل أىُّ ولاية من والٍ
لا يأمر بالعدلِ
لم يَرْعَ حقوق الله
لم يمنعْ من هَتْكِ العرض .

الأوزاعى : هذى أحوال تأتى فى كل الأزمان
من الدهماء .

الفقهاء : حقاً دوماً تأتى منهم .

غيلان : ولماذا تأتى منهم ؟!
لأن الذهبَ تكدَّسَ فى كل خزائنكم
واستولى الفقرُ على الفقراء
فغضُّوا الطرف حياءً ومجاعهْ
فانفتحت أنياب ذئاب المال
تلتهم المحتاج الجائعْ
والمكسور القلب الصامتْ
فهتَكْتُمْ عرض الإنسان . بإذلالِهْ

وبتجويعِهْ

وبإرهابِهْ

أنتم أصلُ بلاءِ الناسْ .

الفقهاء : تقصدِ مولانا ؟

غيلان : أنتم .. هو تابعكم .

الفقهاء : (بتعجب) . نحن لماذا ؟!

غيلان : برّرتم كل الأفعال النجِسَهْ .

وافقتم كل الآراء المُرَّة

أصدرتم كل فتاوى الزور كما يهوى الحكام

أرجأتم كل المسألةِ ليوم الحشر

ومنكم من أفتى

يا مولاى الحج سيغسل ما أفسده الدهر .

الأوزاعى : ما ذنب الوالى والشرّ يعربد فى الطرقات ؟

صالح : ها قد قلت .

الأوزاعى : قل يا غيلان .

غيلان : الوالى يأتى بالبيعة

والعقل أساس العدل

والعدل أساس الحكم .

فقيه (١) : وهل يأتى الوالى دون البيعة ؟!! .

غيلان : بالتزويرِ
بالإرهابْ
بتصيّد لقمة عيش الناس من الأفواه
وبالإكراه .

فقيه (٢) : طبعاً لم يحدث هذا
مع مولانا هشام
لكنى أسألك الآن
أنت تقول بأن الإنسان مخير
هل هذا ما اخْتَرتْ
أم قدَّرَهُ الله .

غيلان : لا . . . بل قَدَّرَهُ هشام .

الفقهاء : لا حول ولا قوة إلا بالله
تهالك غيلان
اخْتَلَّتْ كل قواه .

صالح : خَسِئْتَ بل اختلَّ بقلبك نور الإيمان .

الأوزاعى : كفى لغطاً

سَبَبْتَ هشامْ
وهتكت الحرمَةَ فى بيتِ المال .

غيلان : كنتُ أسب الظَلَمة
وأقول
ملعون من يظلمُ إنسان
من يخنق كلمة حق
من يطلق للظلم لجام .

الأوزاعى : (مقاطعاً) كفى لغوا اسمع
أنت تقول بأن الإنسان مخير
فلماذا اخترت مكانك هذا .

غيلان : لو أن العدل مُقَام
لما كنت هنا الآن
ولأن العدل تصفَّد فى الأغلال
فلابد أن يتصفّد غيلان .

الفقهاء : (باستنكار وفجيعة)
أأنت العدل
وهشام صفدكم

أى ليس بعادل
هل تسمع يا مولاى . (إلى الأوزاعى)

الأوزاعى : إنى أكتب وأدوِّن
هو قال كثيراً
وأنا أكتب أكثر
دعه يقول .

غيلان : هل فى شرع الله أحاكم / ألأنى كنت أردّ
مظالم
من ظلموا ؟

فقيه (١) : ارجعْ عن غيِّك يا غيلان .

غيلان : آهٍ يا مولاى عمر
آهٍ قتلوك وسُجِنَ العدل
وشاعت فى الأرض البغضاء .

فقيه (٢) : لا . . . . .
نحن نحاكمك بأقوالك
وبأفعالك لا نتقول شيئاً أبداً
أستغفر ربى .

صالح : تستغفر ربك
أهشامْ / أم الدينار ؟
الأوزاعى : اخرس . . . . يا فاسق .
غيلان : اصبر يا صالح
نوار الفتنة لا يَعْقِدْ .
فقيه (١) : أوضح هذى آخرُ مسألةٍ
كيف يكون الإنسان مخير
والله يُقدِّر كل الأفعال .
غيلان : لو قَدَّرَ ربى معصيةً للعبد
وأطاع العبد الأمر وعصى
أيحاكم للعصيان
أم للطاعة ؟!
هل يصنع ذلك ربٌ عادل ؟
ربى لم يأمر بالظلم .
الفقيه (١) : هل تسمع يا مولاى
يقول : هل يصنع هذا ربٌ عادل
(يقف) .
سامحنا يا رب .

الأوزاعى : قال كثيراً
هذا كفرٌ وفسوقْ .
الفقهاء : كفر وفسوق .
الأوزاعى : هذا بُهْتَانْ .
الفقهاء : هذا بهتان .
الأوزاعى : صبأ الرجل ومَالْ .
الفقهاء : صبأ الرجل ومَالَ وقَالْ .
الأوزاعى : افتضح الأمر
كل يكتب فتواه .
الفقهاء : نطقتَ بكل الحق أياشيخ الأمة
أَجزاءُ الكافر فى شرع الله سوى القتل ؟!
صالح : دُبِّرَ هذا الأمر
وأُحْكِمَ تزوير نتائجه .
غيلان : لا تيأس يا صالح
أعرف أن الأمر يُدَبَّرُ
مُذ كُنَّا فى بيت المال
الشر الكامن فى الأعماق الخربة
يظهر ويَبِينْ

لكن حكمة ربى أعلى وأَعَمّ .

فقيه (٢) : ما هذا الهمس

جروهم للصلب .

الأوزاعى : لا . . . .

للسجن

إلى أن يُنظر

فى هذا الأمر

وعلينا أن نكتب فتوانا .

الفقهاء : هل غَيْرُ الصلب

كما قال هشام مولانا

وأمير المؤمنين

وسيدنا

هو يبغى هذا .

(إظلام) .

المشهد الثالث

البدايـــــة

مستوى أعلى عليه صالح وغيلان فى حالة صلب ، ومستوى ثانٍ عليه فقهاء وحراس ، مستوى ثالث عليه جمهور مختلط ، يدخل إلى الساحة ويخرج مجموعات من الناس ، وغيلان يخطب فيهم .

فقيه : يا غيلان قُدر أن يحدث هذا فيك .

غيلان : ملعون من يفعل هذا .

الفقيه : صبأ الرجل جهاراً .

صالح : شربة ماء .

غيلان : يا قوم
شربة ماء لصالح .

الفقيه : لن نسقيك
اشرب من ماء جهنم .
غيلان : اصبر يا صالح
هم أهلِ نفاق
ماءٌ تَنْبتُ منه الأرض
وماءٌ يَصْرَعُ أهل البيت
ماء يا حِبٍّ رسول الله
لا ماء سوى السيف .
صالح : ماء . . . . . ما . . . . ء .

(ويموت يصلى عليه غيلان) .

(١) (تذكر أهل البيت)
يا حسين
هذا غيلان يهلك
صالح يهلك / هل من ماء ؟!
قيل بأن الماء بداية كل الأشياء
ونهاية أحلى الأشياء .
غيلان : آهٍ من ليلٍ ذئبٍ تتكشَّفُ فيه الأنياب
آهٍ . من ليل داجٍ لا ينتظر طلوع الفجر

ليل يغتال الحق
كلماتى أزرعها فى الأحجار
وفى الأشجار
وفى الأنهار
وفى الأرض
وللغد
عين الإيمان البذل
لعن الله الأمويين يزيداً وهشام
كم من حق ضاع
كم قتلوا زرع الحق النابت فى الأضلاع
كم شنقوا زهر النوار الطالع
من كل الأفواه
كم ظلموا
كم غنموا
كم ملَّت منهم كل حروف اللغة
وقاموس الفتوى المرتخيةِ والمأجورة .

(٢) : والله إن الرجل على حق .

(يدخل رجل إلى الساحة فى عجلة من أمره) .

الشيخ على : آهٍ يا غيلان
امرأتى حامل ، وخرجت لأبحث عن قابلة
لتساعدها فى الأمر
لكن كيف ؟!
قلبى نصفان ، نصف للزوجة والبيت
والنصف الأكبر مصلوبٌ معك الآن .

(٤) : يا لهف القلبِ عليك .

(٢) : لو كنا نعرف أن الأمر لهذا الحد .

(١) : كنا أطبقنا العين عليك
خبأناك هنالك فى أعماق القلب .
ونمنع أولاد البيعاتِ المأجورةِ عنك .

غيلان : الحاكم لا تصلحُ بيعتهُ
باسم السيف
وباسم الشرطة
الحاكم يأتى منكم

الحاكم يعمل من أجل الناس
لا من أجل العائلةِ الفردْ .

الشيخ على : (هامساً)
هل يمكن أن تلد امرأتى الآن
بلا قَابِلَةٍ
ما هذا العسر الممسك بتلابيب القلب .

(٤) : صَلِّ يا غيلان
من أجل العدل
وأن يتحقق مجد الإنسان .

غيلان : العدل مظلة حب وأمان
والحكم الحق
أن يصبح حاكمكم أحداً من عامة هذا الشعب
فى هذى الحالة
ينبتُ عود القمح بعشر سنابل
وسيرقصُ موج النهر أغانٍ وثراء
وسيجد فقِير الأمةِ
مسكنه والزوجة

يجد أماناً
لا يتحسس رقبته إن قال الحق .

رجل : (يدخل رجل وامرأة) . أين الشيخ على؟

(٢) : لقد قال الرجل الحق
ماذا نفعل ؟!
لو كنا ندرك حجم مصيبتنا منذ البدء
كنا . . . . آه . . . . لو .

(١) : ماذا يجدى كنا . . . . . آه . . . . . لو
ها قد نفذ السهم .

المرأة : أين الشيخ على .

(٢) : وغداً يختار السهم ضحية
وغداً
وغداً
حتى يأتى الدور علينا .

(١) : حين تُغَيَّب روح الحق
ونُلْقَى فى قاع الجب .

الرجل والمرأة : يا شيخ على .

(١) : (يستكمل)
وتعُصَبُ عين العدل
يعمى السيف
يعشق أن يقطع رأس
أيَّة رأس
كلبٌ ، طفلٌ ، شيخٌ
زوجٌ ، زوجةْ .

(٢) : هذا أمر فَظّ من سكت عليه
كالظامىء يستَنْجِدُ بالبحر
استنجد بالظلم على الحق .

(٤) : نحمل دمه فى الأعناق
سيظل الصوت يؤرقنا فى كل أوان .

(١) : وغدا يأتى السهم علينا
حتى لو كنّا فى حضن الزوجة .

(يظهر الشيخ على) .

الشيخ على : الزوجةُ
آهٍ امرأتى تلد الآن

سأبحث عن قابلة لتساعدها فى الوضع .

(يقابل المرأة والرجل) .

المرأة : يا شيخ على
والرجل امرأتك وضعت طفلاً
ونريد له اسماً .

الشيخ على : سموه غيلان
هو غيلانٌ

(يظلم المسرح ولا يبقى إلا بقع ضوء على غيلان والشيخ على وأخرى فى وسط المسرح) .

قل لى يا غيلان
كيف نحقق أمن الناس .

غيلان : ألا تُضحِى الشرطة أدرعةً وعصياً وبنادق
ألا تغمض عين الحق وتفتح عين الباطل
ألا يرتعدَ الرجلُ وزوجتهُ من عين
تقلقهم فى الليل
(الشيخ على وغيلان فى صوت واحد)

ألا تُنتهكَ امرأة بكلاب الشرطة
ألا تصبح آلات التعذيب
متاريساً
لتُثَبِّتَ عرش الحكام .

غيلان : إنى أتنسم ريح الجنة
منفرداً وأكاد أعاين وجه الله
ويقربنى منه / أنى أُلقى كلماتى
فى هذا الحشد .

(يا هند)(يا أبا سفيان) :
تلك سلالتكم تخرج ما خبأه القلب
تفضح ما أبقيتم من زيفٍ
مازال اللاتُ وهبلُ آلهةً من دون الله
بأفئدة الأمويين
آهٍ . . . . آهٍ . . . . .

(تدخل الشرطة تقطع لسانه فيموت) .

الشيخ على : قطعوا ألسِنَةَ الحق
لكن يا قوم

مازال الدينار لديكم يا أهل الشام هو ربُّ
الأرباب
مازال التجار هم الشورى والأنسابْ
لكن مازال الحق القول الفعل
يؤرقُ بطنِ الأرض
فغداً ينبتُ من بين مفاصلكم
قاتلكم
وغداً ينبتُ من وسط الأفئدة المكبوتةِ
من يرفع رايةَ عدل
من يجعل هذا البلد أماناً ورخاءً
باسم الإنسان .

(تدخل الشرطة تقبض على الرجل) .
(تختفى الإضاءة وتبقى بقعة ضوء حمراء
الصوت يأتى من الصالة) .

يا قوم
من يعصمكم من سيف الظلم
إذا جَبُنَ القلب
صونوا زوجاتِكمو

وبناتِكمو
من يهتكُ عرضَ الوطن
سيهتِكُ عرضكمو
من باعَ كتابَ الله
ووزع سُنَّتَهُ صدقه
سيبيع طهارتكم
وبراءتكم
لن يعصمكم من هذا العفن
سوي أن تتحدوا
اتسع الخرق على الراتق .

(تدخل الشرطة تملأ المسرح وتواجه الجمهور) .

الشرطة للجمهور: لم يبق سوى أنتم .

الصوت مستمر: لابد وأن يُسْتَبْدَلَ هذا الثوب
اتحدوا
واتحدوا

اتحدوا

اتحدوا .

(يضاء المسرح والصالة والشرطة مشرعة العصى فى وجه الجمهور) .

المراجع والكتب

١ — الملل والنحل	الشهر ستانى
٢ — الفهرست	ابن النديم
٣ — الحيوان	للجاحظ
٤ — عيون الأخبار	ابن قتيبة
٥ — لسان آلميزان	ابن حجر العسقلانى
٦ — مفتاح السعادة	لطاش كبرى زاده (الهند)
٧ — اللباب فى تهذيب الأنساب	ابن الأثير
٨ — الخراج والنظم المالية فى الدول الاسلامية	د. ضياء الدين الريس
٩ — مسلمون ثوار	د. محمد عمارة

صدر للشاعر

١ — تحولات فى زمن السقوط	ديوان شعر	الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢ — تداعيات العشق والغربة	ديوان شعر	الهيئة المصرية العامة للكتاب
٣ — نقيق الضفدع	رواية	الهيئة المصرية العامة للكتاب

تحت الطبع

١ — تجليات حرف الصاد	ديوان شعر
٢ — من أين يأتى البحر	ديوان شعر
٣ — عمى القلب	« رواية »
٤ — عودة المحارب	مسرحية شعرية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٢/٥١٣٥

ISBN 977-01-3079-6